حينَ مررتُ هناك

تصميم الغلاف
محمد قزق

سمير عدنان المطرود

حينَ مررتُ هناك

ثلاثة نصوص مسرحية

حارس المطخ - نسمة عطر آدم وحواء - آلام قمر القرية

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٦م

حين مررت هناك: ثلاثة نصوص مسرحية / سمير عدنان المطرود.- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٦م . — ١٧٢ ص؛ ٢٠سم.

المحتوى: حارس المطبخ — نسمة عطر آدم وحواء — آلام قمر القرية.
١-٨١٢.٠٠٩٥٦١ م ط ر ح   ٢- العنوان   ٣-المطرود

مكتبة الأسد

النص الأول: مسـرحيـة

حارس المَطْبخ

ممثل واحد وعدة أصوات

دمشق / ٢٠٠٦

حارس المطخ

مسرحية بممثل واحد وعدة أصوات

(المطخ هو بركة الماء الكبيرة التي تتوسّط القرية حيث تدور أحداث هذه المسرحية)

المكان : جانب المطخ في ساحة القرية

الزمان : بعد مرور أكثر من خمسة وعشرين عاماً على قصة الحب التي باءت بالفشل بين صالح وقمر القرية.

تبدو الخشبة من جهة العمق وكأنها تمثل حاجزاً بين المطخ والصالة عبر بيت صالح حيث تدور أحداث هذه المسرحية البيت متهدم ومازال من آثاره بعض الجدران المتداعية ونوافذ مفتوحة على مصراعيها، عبارة عن إطارات بدون زجاج وهي حرة الحركة، بعضها مازال يأخذ شكل المستطيل والبعض الآخر كأنه بحاجة للإصلاح من البداية.

ثمة إكسسوارات ولوازم منزلية كان صالح يستخدمها قبل أن يسافر؛ مازالت موجودة في صندوق عتيق مصدّف،

فوجئ بوجوده نظيفا ملمّعا؛ وكأن هناك من كان يحاول إيصال رسالة ما إليه لأن أغراضه مثل ذاكرته هي في الحفظ والصون وهي محل تقدير.

صالح في الخامسة والأربعين من العمر؛ ينتمي لعائلة لازمتها بعض إشارات الاستفهام في القرية، كانت أمه منوى تعمل في الأرض عند الآغا السرسوقي، و كانت في الوقت نفسه تقوم ببعض الأعمال المنزلية في قصره، حيث كان يعيش حياة لاهية بصحبة بعض المترفين. كانت منوى تتمتّع بنصيب وافر من الجمال مما جعلها تقع تحت عيني السرسوقي في أية حركة أو التفاتة منها. !!

كان إصرار صالح على الهروب من واقعه نتيجة لعدم قدرته على التخلص من آثار الماضي، الذي لازمه بسبب ما فعله السرسوقي؛ حيث وقعت منوى فريسة سهلة، حاولت مرارا أن تدافع عن نفسها لكن أنياب السرسوقي كانت أقسى من لحم جسدها الغضّ وعذريّتها الهشّة، لذلك حاول صالح التخلّص من وصمة عار الفضيحة التي لازمته حين أصبح كل من في القرية يناديه بابن خادمة السرسوقي؛ مع أن الجميع في هذه القرية شهدوا ذلك الزفاف المحضّر بسرعة تغطيةً لفعلٍ ما،ووحده أبو كاسر،عم صالح ؛ الذي كان يعرفه.

هذه القصة جعلت أبا كاسر يدفع صالح باتجاه قرار الهرب من ماضيه والخروج من هذه القرية، وكان من حسن حظه في الغربة بعد هجرته إلى أمريكا؛ أن وجد من يساعده على متابعة دراسته الجامعية، ونسيانه لحدود هذه القرية الملعونة..! كل ذلك جعله يضع ذكرياته وتاريخه في صندوق ذي جدران سميكة، حيث أقفل عليها، وأضاع المفتاح عمداً.. ولعل أكثر ما أرّقه حين غادر القرية، هو محاولة نسيانه لقصة عشقه التي كانت مثارَ الأحاديث في هذه القرية؛ لكنها لم تنجح أبداً. لأن الجميع يدرك أن بذرة الخطيئة لا تثمر إلا نباتاً ساماً، وهذا ما كان يصفعه كلما حاول أن يتجاوز هذه اللحظة أثناء وجوده بعيداً في الغربة.

يدخل صالح إلى الخشبة وهو يرتدي الثياب الفاخرة، بدلة من «السموكن» مع قميص بقبة مُنشّاة، وربطة عنق (ببيون) إضافة للمعطف الثمين المصنوع من الجوخ البنيّ؛ ويضع على رأسه (برنيطة) من الجوخ البنيّ، تنسجم مع المعطف.. ويحمل بيده حقيبة من الجلد الأسود. وبيده الأخرى (الغليون) الذي يدخنه.

صالح : (مستغرباً) أين أهل القرية...؟

لماذا لم يخرجوا لاستقبالي؟ لابد أنهم يُحضرون مفاجأة لي.

(يضحك، مواسياً نفسه)

يبدو أنهم يعملون على الديزل

(يضحك ساخراً من نمط الحياة هذا، وهو ينظر إلى الجمهور)

مجتمع يسير مثل السلحفاة. كما تركتكم منذ ربع قرن.

(والغليون بفمه، ضاحكاً)

سأنتظر...!.

(يتفاجأ بعمود إنارة يضيء منزلهم المهدّم؛ لكنه لا يضيء الطريق.. يضحك ضحكة عريضة ساخرة مما رآه واستنتجه)

اوه. لقد دخلت الحضارة أخيراً إلى قريتنا العزيزة.

عمود من خشب البلوط الروسي، «ولمبادير» ستاليني قديم

(ضحكة)

ومقبس لإنارة الكهرباء

(يشعله ويطفؤه عدة مرات)

والمضحك في الأمر أنه يضيء منزلنا المتهدّم، وهذا المطخ القديم؛ لكنه لا يضيء الطريق.!

(يضحك ضحكة طويلة حتى السعال)

أين كانت الكهرباء عندما كنت أحرس المطخ

(للجمهور)

نعم

نعم صدقوني

أنا كنت أحرس هذا المطخ... كنت عندها صغيرا...كنت أعيش مع أمي

(تنبعث موسيقى تنبش بذكريات طفولته)

كنت غضّ العود. كنت طفلا صغيرا يريد أن يلعب أن يرى ما وراء هذا المطخ.

ولكن ذلك ممنوع فأنا حارس المطخ.

كنت أتمنى أن يأخذني عمي معه إلى المدينة ولكن ذلك ممنوع

وليس السبب أنني حارس المطخ...

بل السبب أعظم من ذلك بكثير...

(خائفا من عمه أبي كاسر)

كان لديه هيبة مرعبة.... ووو.

أنا مجرد ابن أخٍ غير معترفٍ به...

بالنسبة له.

أنا مجرد كيلو غرامات من اللحم البشري.

شاءت الأقدار أن يكون أخوه هو والدي

(يتنهدويرتجف صوته من قسوة هذه الحقيقة)

وخادمته أمي.

(وكأنه يحدّث نفسه، وهو غارقا في البكاء)

كان ممنوعا على هذه الكيلوغرامات أن تتمتع بحسٍّ بشري أو بعاطفة بشرية.!

كنت مجرد كلب حراسة...

يمنع عليه النوم عنما تنام القرية ويمنع عليه الاحتفال عندما تحتفل القرية...

كنت أراقب العيد من هنا

أرى الاطفال بثيابهم الجديدة يمرحون يلعبون

وأنا أحرس هذا المطخ..!

وأين المطخ الآن..؟

صار بركة

أصبحت الضفادع والأفاعي

تحرسه بدلا عني.

ربما هذا ما أراد أن يقوله فاعل الخير الذي أرسل لي الرسالة

(يريه اللجمهور)

نعم وهاهي

(يقرأها)

صديقي العزيز هل نسيت قريتك،

هل نسيت المطخ.؟

الكل يسأل عنك، والكل يعتقد أنك هربت إلى أميركا لأن بها مطخ أكبر.!

(ينظر نحو الجمهور ويتابع القراءة)

ويتهمونك بأنك ناكر جميل

(للجمهور)

إنه يسألني إن كنت قد نسيت؛ عندما كانت القرية تتصدّق عليّ وعلى أمي

(يتنهد بيأس... يصمت)

جزاه الله الخير

كنت قد نسيت ذلك

(بسخرية شديدة)

لكنه ذكّرني؛

وها أنا ذا..

أتيت بالرغم من أني أشعر أن هدفه ليس تذكيري بفضل أهل القرية عليّ..!

أنا على يقين من أنه أراد أن يخبرني شيئا أهم من ذلك...

(بحرقة)

ربما أراد أن يخبرني أن هناك من يحرس المطخ بدلا عني

(يسمع صوت الضفادع... يضحك)

ألم أقل لكم

(يشغل غليونه)

أين هو هذا اللعين ؟!

لقدأكد لي بأنهم سيستقبلونني بمدخل القرية..

هنا بالقرب من المطخ.

وأنه شخصيا سيترأس لجنة استقبالي...

(بحنق وغضب شديد)

إذاً لِمَ لَمْ يأتوا

(ثم يستند على عامود الكهرباء وبثقة)

لربما أرادوا مفاجأتي على الطريقة الأمريكية.

ربما كانوا يختبئون الآن، وسينقضون فجأة حاملين الهدايا وبصوت واحد «سوربرايز»...

وأنا لدي سوربرايزي

(يذهب ويبدأ بتنظيف المكان)

سأستقبلهم هنا

أجل هنا

هنا

(يخلع المانطو ويُشمّر عن يديه وبينما يُنظّف المكان، يسير باتجاه المنزل، يقف أمام المرآة يتجمّد فجأة؛ وهو ينظر إلى المرآة باستغراب)

ونظيفة أيضا..!

كيف حصل هذا...؟

(وبينما يُحدّق فيما وراء جسده البادي أمامه على المرآة..نسمع صوتاً نسائياً ينبعث وكأنه قادم من البعيد بأهزوجة ريفية)

صوت أم ريحان:

حزين إللّيّ ناقع الصّوان تنبلّ   يـركض عـاورا الزينـات تنبـلّ

يا بعض الرجال فيها كل تنبلّ   حـطّ النيـر وافلـح للغيـابْ

حطّ النير وافلح للغيابْ

(نسمع صوت ضحك نسائي، ثم يتمازج هذا الصوت مع المؤثرات الأخرى، مثل صوت

انسياب الماء في القناة التي تصبّ في المطبخ... تظلم الخشبة بينما يتركز الضوء على جهة المطبخ حيث تبدأ المياه بالنزول من القناة بالفعل مع إطفاء ضوء اللامبادير الستاليني بالتدريج)

صالح: (يضحك في الوقت نفسه)

أنت كما أنت يا أم ريحان

ما زال صوتك يبعث في الحياة ألقاً جديداً.

تغيّر الزمن وتغيّر كل شيء.

(ينظر إلى نفسه)

حتى صالح تغيّر؛ وأنت كما هذه الأحجار بقيت على حالك.

إيه يا أم ريحان...!

مع أن صوتك لم يكن يمرّ على أذنيّ..

لكنني كنت أحسّ دائماً بشيء لم أعرفه من قبل.

ربما لأنني كنت عاشقاً محموماً

وصرت الآن عاشقاً محروماً

(وكأنه يعاتب نفسه متكئا على عامود الكهرباء، بينما يمسك بعود الثقاب؛ ليشعله من أجل الغليون؛ نسمع صوت محرك سيارة تقترب من المنزل... يُطفئ المحرك نسمع صوت فتح وإغلاق باب السيارة، يتجه نحو معطفه وقبعته يرتديهما وقد انفرجت أساريره)

صالح: (ضاحكا)

وأخيرا جاؤوا.

كنت أعرف انهم سيأتون لاستقبالي...!

(يتجه نحو النافذة لكنه يتجمّد بمكانه حين يسمع صوت ضحكات امرأة ورجل).

صوت قمر القرية: (ضاحكة بغنج واضح)

انتظر أيها المراهق... يا مجنون

(صوت قبلات وهمهمات واضحة)

صوت قمر القرية: ليس هنا... ليس هنا خطوتان ونصل إلى الصندوق

صوت الرجل : (ينفجر ضاحكا) صندوق ابن الخادمة

(يسرع صالح باتجاه العمود، وينير اللامبادير، يرتفع صوت محرك السيارة حيث تنطلق مبتعدة)

صالح : كنت أخاف أن أصبح علكا في فم الناس؛ يعلكونه غصبا عني.

حين استفاقت القرية ذات صباح يوم صيفي جاف على خبرٍ،

أحرق كل الهشيم النامي على ضفاف

حياتنا.. صارت حياتنا كلها.. وكأنها وضعت في مقلاة كبيرة

(وهو يحاول اشعال الغليون من جديد)

كان جسدها جميلا متناسقا..

لونه أقرب إلى الرخام الأبيض، وهو موضوع في أشعة شمس يومٍ صيفي..

ومن تتاح له فرصة أن يمرّ بجانبها، أو أن تمر هي بجانبه..

سيشعر بوهج لا يعرفه أحد إلا الذين كواهم هذا الوهج الصاعق ذات يوم..!!

ضفائر شعرها المسدول شلالا على كتفيها، تاركا إطاراً مدوراً أقرب إلى وجه القمر؛

بقي ساطعاً بكبرياءٍ متحدياً هذا الظلام الممتد حتى منتصف ظهرها، وربما أكثر.. !!

أية نشوة تلك التي تعتري المرء إذا ما رآها وهي تتحدّى الجميع بمشيتها

بينما الهواء يلاعب هذا الظلام...!

كانت اللحظة التي تجمّدت عند حواف العمر، وأنا أراك تغتسلين بالضياء أيتها.. البائسة؛ هي التي كنتُ أحاول تجميدها كلما كنت أتذكر هذا المكان..! ما كنتِ هكذا من قبل.

ذاك التوهج الذي في عينيك، كان يجتثني من جذوري.. يحرقني..!

لا أعرف إلى أي حدٍّ يمكن أن تستمر هذه اللحظات...!

أحيانا أشعر أنها أكثر من زمن عمري الذي عشته، وأنا أنتظرك. وأحياناً أخرى أشعر أن عمري قد بدأ منذ بدأتُ أنتظرك...!

(ينتبه لصوت المطر)

أين تبدأ وأين تنتهي تلك الجلجلة المدوّية لهذا المطر..!؟

(يجول بنظره في المكان)

هل تكفي كلمة اشتقت إليك...؟

إلى أيّ حدٍّ يمكن أن تكون هذه الضحكة التي تذبحيني بها كل يوم؛ جواز سفر لإذلالي...؟

إلى أي حدٍّ يمكن أن تكون نظرة عينيك الممتلئة بذلك الشبق المريع، قادرة على إطلاق رصاصة البدء.

عندما تعانقت قدماي مع اسفلت الطرقات؛

ظننت أنني ربما أكون قادراً على الإتيان بقليل من الفرح الذي يشبه شوق التراب لقطرات المطر هذي..؟!

إلى أيّ حدٍّ يمكن أن أكون لم أفهمك...!

(يتنهّد)

يبدو أني فعلا لم أفهمك..

لم أفهم..!

لمَ سافرتُ؟

ولمَ أنا ابن الخادمة؟

ولمَ أصبحت عالِما؟

لمَ رفضتني؟

لمَ لمْ تستقبليني. !؟

لم أفهم لماذا قد عدت...!

لم تعودوا بحاجة لحارس مطخ، ولم تعودوا بحاجة لمن يزجركم.!

أين أنت يا أبا كاسر...؟

أين أنت أيها العم المزعوم؟

أين مطخك؟

لقد أصبح ملقى لعشاق الخطيئة

(يرمي بالغليون ارضا ينزع معطفه ويلوح به ثم يرميه إلى اعلى صارخا)

أبو كاسر أين أنت...؟

ألست أنت من أسماني بابن الخادمة...!

ألست أنت مَنْ حرمني مِن حبيبتي...!

أين أنت يا قمر القرية؟

لقد رأيتكِ مع ذاك الوغد المتصابي

(صارخا أكثر)

إلا أنت يا قمر القرية..

كلهم إلا أنت..!

لقد تحولتم كلكم إلى أبناء خادمة.

(يقوى صوت المطر، ثم نسمع أصوات متداخلة.. رغاء الجِمال وهي تحمل القشّ، صوتَ أبي كاسر وهو يؤنب صالح على تباطوئه)

صوت أبو كاسر: شدّ الحبل جيداً يا....!

صالح : (ينتفض مذعوراً.. صارخاً، مقاطعاً الصوت)

يكفي.!

كفاك إهانة لي..!

من أي شيء مجبول أنت ؟

أنا من لحمك ودمك. أنا

(بذلّ)

أنا ابن أخيك

(يبكي متوسلاً)

أقسم أنني ابن أخيك.. !!

(وهو يكفكف دموعه، بمنديل حريري فاخر يخرجه من جيبه)

أتعلم..؟

كلما كنت أتذكر هذا المكان؛

كانت تنتابني القشعريرة..

كنت أخاف..

أحاول أن أهرب..

(يركض إلى الزاوية المُهدّمة ويحتمي بها، حيث كانت الدمية الكبيرة التي صنعتها أمه له، وأقنعته أنها أخوه)..

لكن كل ذلك كان عبثاً؛

حتى أخي المزعوم لم يستطع أن يحميني..!

كانت العيون تأكلني وهي تحدّق بي..!

وأنا أنظر إليها كالأبله..

لا أعرف لماذا تتقاسمني تلك النظرة التي غرّبتني،

ودمرّتني..

وفعلتْ كل شيء بي،

استباحتني منذ البداية...!

أتساءل في كل مرة.

لماذا أنا...؟

يا أمي.

يا أمي

لماذا هذا الخوف..؟!

متى يكون هذا الوعد حقيقياً ..

(وهو لم يزل ممسكاً بالدمية)

لماذا عليّ وحدي أن أكون هذا الحقل المزروع بكل الشرور...!

كل ما حولي مزيّف...!

أخي مزيّف...!

أبي مزيّف...!

(يبكي بحرقة)

أنا مزيّف...!

متى سأتخلص من كلّ هذا العذاب؟

أجيبي يا أمي.

(يصرخ أكثر)

أجيبي يا أمي.

(صوت قصف الرعد وقد علا أكثر من قبل، والبرق المصاحب؛ أصبح يتمنّاه كالنار التي تضيء ذاكرته؛ فيحرقها... فنراه يمسك رأسه ويضغط عليه بكلتا يديه، كأنه يمنعه من الانفجار)

آه.. آه.. أريد أن أرتاح..

ليتني ما جئت..

أريد أن أرتاح..

(وقد أوشك على الانهيار)

صوت أمه: قريباً سيكون هذا الموعد حقيقياً..! لا تستعجل..!

(ينظر باتجاه إحدى المرايا على الجانب الأيسرمن الخشبة يبحث عن مصدر الصوت،، ثم نسمع صوت الزمهرير وحفيف الأشجار؛ وكأنها تحرّك الذاكرة عنده؛ قبل أن تتوضّح صورة أمه في المرآة)..

صالح : (بدهشة)

يا إلهي..!

أمي..أمي

(كالمجنون) هذا صوتك.. أمعقول أنني أسمعك الآن..؟

(تظهر صورة أمه على المرآة)

صوت أمه: (وهي تهدهده .. نسمع ما يشبه التراتيل، لكنها غير مفهومة)

صالح : (يركض إلى المرآة، محاولا عناقها، فتختفي الصورة)

أين أنت... كم أشتاق إليك..!

لا تذهبي.. انتظري قليلاً..!

(صمت)

(وكأنه استفاق من هذه الحالة)

يا لهذا الإحساس الذي يغمرني..كم أشتاق إليك

حتى وأنا أسكن في قلبك.

(ينتبه إلى خطأ التعبير)

وأنت تسكنين في قلبي؛ أشتاق إليك..!

(وهو يحاول إشعال الغليون، صوت إشعال عود الثقاب.. بشرود)

قلبي.. أسكن قلبك.

(يدخن الغليون)

(صمت)

ما أجمل هذا الإحساس..

- **(ينتبه إلى ثيابه وقد تغّبرت، يحاول نفض الغبار عنها.. يتجه إلى الصندوق المصدّف الموضوع في زاوية المسرح.. وقد توضعّت عليه مرآة كبيرة، فأخذ شكل البيرو، يخرج منديله الحريري ويبدأ بنفض الغبار، يفتح الصندوق.. ينظر بداخله، يضحك من أعماقه، لأنه وجد طقم أسنان، فيمسكه بأصابعه، ويُحرّكه كأنه يحرك دمية.. يقهقه.. يخرج المنديل من جيبه)**

رحمك الله يا جدتي

(وهو يقوم بتنظيف الأسنان)

أنت لا تُضيعين شيئاً..!

كم أنت رائعة يا جدتي.. حتى بعد أن ذهبتِ بعيداً ؛

بقيت أغراضك كلها.. لو كنتُ أعرف أنني سأفقد أشيائي.. كنت خبأتها عندك..

(يتأوّه)

نحن يا جدتي؛

(يبتسم بسخرية)

كل الموجودين هنا.. وفي هذا العالم ؛ نفقد في كل يوم شيئاً من أشيائنا..

(يخاطب طقم الأسنان)

أتعلمين ياجدتي.. حين ذهبتِ؛ سَرقوا محتويات هذا الصندوق..!

لم يتركوا فيه إلا مالا يريدون..

أنا كنتُ معهم.. رأيتهم..!

صحيح أنني كنت صغيراً لكنني كنت أعي كل ما يفعلون

الصغير لا ينسى يا جدتي، أما كنت تقولين ذلك..!

لقد أيقنت الآن أن ما سرقوه من هذا الصندوق هو عمرنا الذي تسرّب من تحت أظافرنا.

(بسخرية وألم)

عمرنا لن يكون أكثر مما مضى..

الحياة تهرب بسرعة

(وهو ينزع النظارة عن عينيه)

والعيون صارت بحاجة ماسة لعيون أخرى.

(يضحك وهو يسخر من نفسه)

عود الرمح لانت خلاياه، فتقوّس.. والقلب أخضر..!

يشدّني شيء غريب إلى تلك الأيام حين كنت أتعاطى حبك.

أعيش دوامة جديدة هم يسمونها الذكرى، وأنا أسميتها الإدمان..!!

(وكأنه تذكر شيئاً، ثمة سلّة معلقة على أحد الجدران، يركض باتجاهها وينزلها)

كنت أعرف أنني سأجدها؛ أنا أشبه جدتي، ومن يشبه جدته يجب ألا يضيّع شيئاً.. ثم إن هذه ليست أشياء عادية.. إنها عمري..

(يُقلّب محتويات السلّة، ثم يتجمّد قليلاً وهو يحدّق داخلها، يُخرجُ الدامر.. وينفضه ثم يضمه لصدره، قبل أن يبدأ بمخاطبته)

أخيراً هذا أنت..!

كم كنت أتمنى لو كنت معي في غربتي..!

يا الله كم اشتقت إليك

كنت أراك دائماً على كتفيّ أمي

(يضع الدامر على كتفيه.. يبكي)

لم يُجدِ نفعاً هذا البعاد..

ولم يجد نفعاً أنني أصبحت أحمل فقط الذكريات التي اجتاحتني حتى بقيت صداً تأكله الأصداء

(يتوجه بحديثه إلى المرآة، التي توضّعت عليها صورة أمه)

أتعلمين أنني أستيقظ كل يوم من عملي..

لأراك تدقيّن في رأسي كالصاعقة..

كضربة الشمس...

لتذكّريني كم كنت عاقاً..

(يدور حول المرآة التي تبدو عليها صورة الأم.. ويبدأ بالصراخ)

أيتها المرأة التي تعجز الأسماء عن احتوائها..

يا أمي.. يا أمي.. يا أمي..

احمليني وانطلقي خلف جدران الألم..

دعي الغيمات التي تنامين فوقها ؛

تقبلني..!

قولي لها إنني أحمل خطوط العمر التي في عروق يديك..

وأنت تقدّمين لي نسغ الحياة..

(يبكي بحرقة)

قولي لها إن قلبك رآني قبل أن تراني عيناك

(يصرخ بألم)

يا أمي.. يا أمي

قولي لها إنني ولدك..

(يتهاوى على أرض الخشبة، بينما نجد أن الدامر قد تحوّل إلى الشكل الذي كان يبدو عليه عندما كانت تلبسه أم صالح.. وكأن الذراعين مفتوحان، استعداداً للحظة العناق)

صوت الأم: سلامٌ عليك مُذ بدأت الحكاية..

كم أنت مسكين يا ولدي..!

(يرفع صالح رأسه وينظر إلى صورة أمه في المرآة، فنراها تشير له أن يقترب منها)

تعال يا ولدي..

خذ صدري وسادة، تبعث لرأسك أحلام الهناء...

القِ برأسك عليه، تَنشّقْ عبير الحياة..!

(يقترب الدامر من صالح، وكأنه يودّ معانقته.. ينهض صالح على قدميه، ويركض باتجاه الدامر ويعانقه)..

صالح: (وهو يشمّ الدامر بنشوة، وشوق وتلهف)

أكثر من نصف عمري مضى وأنا محروم من هذه الرائحة !!

(يدندن صالح أهزوجة قديمة كانت أمه تغنيها بالماضي ثم ينطلق صوت الأم بالغناء وهو أقرب إلى النواح والمَعيد)

صوت الأم: (وهي تغني)

«يا يما والله على عمري

شوقي من بعدي تولينه

جابولي الكفن وأنا طيب

وهالوا عليّ الردم كله»

(يرقص صالح أثناء الغناء؛ وهو يعانق هذا الدامر، يبدأ بنزع ثيابه وكأنه قد فقد عقله، يتابع الرقص بنشوة كبيرة، وفجأة يلمح قطعة نقود معدنية على الأرض.. يلتقطها وينظر إليها بأسى)

صالح : الآن جئت..

(يصرخ)

هذه الخمسة قروش يا أبا كاسر.. تعال خذها..!

قلت لك إني أضعتها هنا؛ ولم تصدقني بل ضربتني..

آلمتني.. أوجعتني

(يبكي)

لم ترحمني..

(يعاود الصراخ)

منذ أن أضعت الخمسة قروش؛ وأنا أكرهك يا أبا كاسر.. أكرهك..!

(يظل يدور كالمجنون، وهو يصرخ حتى يسقط من الإعياء.. تظلم الخشبة.. نسمع أصوات خيل، جمال، دجاج، شليّة غنم وهي تسير، والأجراس المعلقة في أعناقها تعطي حياة للمشهد، ترتفع الإضاءة قليلاً.. نجد صالح نائماً وقد تكوّر على نفسه..)

صوت أبو كاسر: انهض أيها الكسول..

هل ستظل نائماً طول العمر.. ؟

والله لو كنت من أولادي، لأريتك كيف يكون النوم على حقيقته..

(يعلو الصوت أكثر ويأخذ نبرة الاستفزاز والتهكم)..

هيا.. قمْ أطعم «الطرشات»؛ أم تريدهم أن يذهبوا للعمل دون طعام..! هل تستطيع أنت أن تعمل دون أن تأكل..!؟

(ينتفض صالح من نومه، يتلفت في كل الاتجاهات.. وهو يصيح)

حاضر.. حاضر..!!

(يذهب باتجاه أحد الجدران حيث عُلقَ غربال، وشاعوب، ومذراة.. يأخذ الغربال، ثم يقف بمواجهة الجمهور، يضع الغربال بين قدميه وهو يحاول لَفّ رأسه بالشماغ، وقد بدا عليه الامتعاض، يمسك بالغربال ويتظاهر بأنه يقوم بتعبئته بالتبن كي يضعه في المعلف..أصوات صهيل الخيل.. رغاء الجمال.. وثغاء الغنم).

صالح: ألن ننتهي من هذا القرف؟

(مقلداً صوت أبي كاسر)

لو كنتَ من أبنائي..

أنا لست من أبنائك..!

ولا أحب أن أكون مثلهم.. هل تريدني أن أوقف زمني عندكم

(يعاود تقليده)

أطعم الطرشات..

خذ عود الفلاحة لعمك عيد..

اربط الشبك جيداً على الجمل..

افتح خيشة التبن جيداً..

وأخيراً تضحك عليّ..خذ هذا الرغيف وقطعة الجبن..وحبة البندورة هذه..

هيا تناول طعامك بسرعة كي نذهب للعمل

(يغير نبرة صوته)

والدي الذي هو والدي لم يعاملني هذه المعاملة..!!

كم أنت مسكين يا أبي..!!

مع أني لا أعرفك..!

لكن المفترض ان تكون مسكيناً،

فأنت أبي..!

كم حلمت بك، كنت أقف أمام المرآة

(يقف أمام المرآة الموضوعة على يسار الخشبة)

تماماً كما أفعل الآن..

وأقول في نفسي..

أيعقل أن يكون هذا الجسد الواقف أمامي هنا، هو أصل وجودي في هذه الحياة..!

أيعقل أنني أشبهك..!

كم أحنُّ إليك...!

وكم أكرهك لمجرد أن أبا كاسر هو جزء من لحمك ودمك..

أما أنا الذي يقولون عني إنني ابنك..

لا أحمل منك غير العذاب والقهر الذي أورثته لي يوم بعدت وسلمته أمري وأمر أمي.. !

كان علينا جميعاً أن نكون سعداء وهو يتأمّر علينا..

هل تخيلت أننا سنكون وصمة العار في جبينه.. كما يحب أن يقول..!

(وهو ينظر باتجاه الجمهور ببله)

لا أعرف.. ليتني كنت أعرف.. !

(يتحول إلى جانب النافذة المكسورة، التي تطل على المطخ.. ويصرخ بأعلى صوته)

والله لو كنت أعرف.. والله لو كنت أعرف

(يبكي)

لو كنت أعرف..!!

(نسمع صوت الناي، ممتزجاً مع أصوات الأجراس المعلقة برقاب الغنم، يتوقف صالح عن العمل.. ثم يبدأ بغناء موال عتابا)..

صالح : آخ.. آخ..

«عايش أنا معكم. وتظنوا أنا حيّ..

ومن طول عمري أنا ضدكم وأناحي..

صديقي اللي ما وقف معي وأنا حيّ..

ما أريد دمعه عند هيلات التراب»..

(تبدأ الإضاءة بالتلاشي ببطء، بينما نجد صالح يعاود العمل حتى تظلم الخشبة تماماً.. تنبعث موسيقى مناسبة..ترتفع الإضاءة فنجد صالح واقفاً بحالة قلقة يرتجف..خائفاً من شيء ما.. فجأة وأثناء الحركة الهستيرية الدورانية التي يقوم بها على الخشبة.. نجد أن ثمة صورة انطبعت على كل مرآة من المرايا.. رجال ونساء.. كباروصغار ثم يقف فجأة وكأنه استعد للمواجهة.. فنراه ينطلق أمام كل صورة على حدة ويحاورها)

عندما كان يسير في أنحاء البيت، نسمع أصوات خربشة ناتجة عن، دوساته على أكياس من النايلون التي تغلف شيئاً ما، ترتفع درجة توتره أكثر فأكثر، فصار يركل هذه الأكياس بقدمه في كل الاتجاهات، لكنه حين يلحظ ثقل هذه الأكياس؛ ينتبه إلى أن المحتوى هو الجرائد التي تؤرخ لحياته المهنية في الغربة؛

كأكبر جراح قلب مفتوح بأميركا.. يفضّ أحد الأكياس؛ فيجد صورته وقد تصدّرت الصفحة إلى جانب مادة إعلامية كبيرة تعددّ إنجازاته، والجوائز التي تلقاها هناك)..

صالح: (وهو ينظر إلى الجريدة)

مستحيل..!

آخر مكان في هذا العالم أتوقع أن أرى فيه هذه الجريدة،

هو هذا المكان..!

(ينظر باتجاه الدمية)

أنظر. هذا أخوك الذي استعرّت منه القرية..

(كمن يبحث عن شيء، يفتش في جيبه، فيخرج طقم أسنان جدته)

جدتي..

(وهو في قمة السخرية.. والسعادة.. والجنون)

بكل فخر واعتزاز

أقدم لك حفيدك الدكتور العالمي..!

هل قرأت الجريدة

(صمت)

وقمر القرية..!

هل قرأته أيضاً..؟

قولي يا جدتي..

هل كل القرية تعرف أنني أصبحت أهم جرّاح في العالم..؟!

أنا صالح حفيدك الذي درس في أمريكا..

USA

(بعد لحظة شرود)

ماداموا يعرفون أنني أصبحت كذلك..

لماذا لم يخرجوا لاستقبالي..؟

(وهو ينظر إلى طقم الأسنان ويحدثه بجدّ)

جدتي.. هل هناك أحد في القرية أهم مني الآن..؟

قولي.. !

أجيبيني.. !

هل هناك أحد في القرية أهم مني الآن..؟

(صمت)

هناك.. رأيت شيئاً لم أره من قبل..

كان جميلاً لكنني لم أعتد أن أراه هكذا..

الناس هناك يتعاطون مع بعضهم كل واحد بما صنعت يداه..

لا يمكن لأحد أن يتحمّل وزر أحد آخر..

حتى الأب لا يستطيع أن يحمل وزر أولاده...

كلٌّ مسؤول عن نفسه..

(يتذكر)

حين هبطت الطائرة في المطار هناك..

استقليت سيارة أجرة.. وطلبت أن يوصلني إلى الفندق..

في الطريق.. استأذنني لأنه يريد أن يتوقف قليلاً قلت له حسناً وجلست أنظر إليه..

(ينظر إلى طقم الأسنان)

خمّني أيتها الجدة ماذا كان يفعل..

كان ثمّة شاب يقف على ناصية الشارع حين مررنا من هناك..

وكل هذا الاعتذار؛ كان من أجل أن يسلم على هذا الشاب..!!

كم هم متحضّرون.. هكذا قلت لنفسي.. أتعلمين يا جدتي

(وهو ينظر إلى طقم الأسنان، والدمية)

وأنت أيها الأخ الطيب..

كم كنت غبياً،

وأنا أقول عنهم إنهم بلا أدنى شك، يتصرفون كالملائكة،

(يصرخ غاضباً)

كنت مضللاً،

أحمقاً،

مثلكم هنا تماماً لا نحكم إلا على الظاهر..

لأنني حين سألت السائق منْ هذا الشاب الذي توقفت معه بضع دقائق بهذه الحميمية..!

أجابني إنه ولده..!

قلت في نفسي..

يا الله كم هم رائعون.. إنهم مثلنا بالضبط..!

هكذا نحن نتصرف في بلادنا..

فلماذا يمزّقون هذا العالم بين الشرق والغرب....!

لكن الطامة الكبرى كانت..

حين أخبرني أنه لم يره منذ سبع سنين مع أنهم يعيشون في المدينة نفسها ..

(وهو ينظر إلى الجمهور، ممسكاً بالدمية، وطقم الأسنان)

شعرت بالغثيان..

كنت أودّ حينها أن أعود في الطائرة ذاتها،التي أخذتني هناك..!

كنت أقبل أن أعود تحت رحمة أبي كاسر..

وأهل القرية كلهم..

كنت مستعداً أن أقبل أن يقولوا عني إنني ابن الخادمة..!

لكن السائق حين رآني هكذا وعرف أنني غريب..

أخذته الشفقة عليّ...

وقدّم لي نصيحة لازلت لهذا اليوم أحفظها..

وأُدينُ بكل ما وصلت إليه لهذا البائس..

أتعلمون ماذا قال لي..

(وهو ينظر للدمية ويُقرّب طقم الأسنان من أذنه)

ها..!

قال: من لا يرتضيك كحلاً في عينيه، لا تقبله نعلاً في حذائك.. !!

وها أنا ذا.. أخذت بنصيحته...

أصبحت ما ترونني الآن.

بكل فخر أنا من أهم المشاهير في هذا العالم..

أليس هذا جميلاً...؟

ومع ذلك عدتُ ولم أجد مَنْ يقول لي أهلاً بك..!

أيُّ نكران هذا..

أخبروني هل ما فعلته كان خطأً ..؟

أم أنني لا أجيد حساب الأمور بشكل صحيح..!

كنت مشتاقاً إليكم..

كل شوق العالم كان حينها في صدري ..

وأنا أنتظر لحظة لقائكم..

كنت مثل ذاك السائق،

يدور في كل الطرقات يومياً،

ومرة واحدة فقط،

مرة واحدة استطاع أن يرى ولده.. !

هل يجب أن أبقى سبع سنوات كي أرى واحداً يقول لي أهلاً بك يا صالح.. !!

مادام ليس هناك من هو أهم مني..

لماذا لم يخرجوا لاستقبالي..ها!!

قولي..

لماذا لا تتكلمين.!

(يلتفت إلى الدمية)

وأنت لماذا تصمت هكذا.. ؟

قُلْ شيئاً.. !

تكلّم.!

(يَهزّه بعنف، وهو يصرخ)

هل هناك من هو أهم مني.. ؟

أنا الذي صنعتكم هناك..

كانوا لا يسمعون بكم..

(بفخر وغضب بآن واحد)

أنا الذي جعلتهم يسمعون بكم..!

قولوا شيئاً..

(وقد ارتفع صراخه أكثر، وهو يدور كالمجنون)

من أهم مني هنا.. ها!

(يظن نفسه أنه دخل معهم بلعبة)

لتخرجوا جميعاً..

يكفي..!

لا أريد أن ألعب أكثر.. اظهروا..!

ماعدت أريد المفاجآت..

لا أريد احتفالات، ولا استقبال رسمي، ولا شعبي..

أنا أريدكم أنتم..

اظهروا..!

اظهروا..!

(يكررها عدة مرات في حالة هستيرية)

ليظهر واحد فقط.. واحد لا أريد أكثر.. واحد يقول لي مرحباً بك يا صالح في قريتك..

(نسمع ضحكة نسائية ساخرة تخترق كل الحواجز)

(ينتفض بحزن وألم)

صوت نسائي:

«لا تلـــوم المبتلـــي ويتبتلـــي ما صعب فراق الموالف يا هلي

الـسفينة بـالبحر خلقت لنـوح والعـشق هـذا مـن الله محللّـي»

(نسمع صوت محرك سيارة، تتوقف بالقرب من المطخ.. ويرتفع صوت لغط من أهالي من القرية، وهم يلحّون بطلب المزيد من الأعطيات التي توزعها قمر القرية على الذين تجمعوا بالقرب من السيارة، يذهب صالح إلى جهة النافذة وينظر إلى هذا المشهد، وقد انتابته حالة مزرية مما وصلت إليه الأمور..فنراه يهز برأسه علامة الاستنكار، والامتعاض، وهو يسمع عبارات الإذلال التي تطلقها قمر القرية على الأهالي..)

صوت قمر القرية : أبعد يديك القذرتين عن السيارة..!

صوت ١ : أنا لم آخذ يا قمر القرية..

صوت ٢ : في المرة الماضية كانت حصتي أكبر من هذه..

صوت قمر القرية: يكفي كلكم أخذتم حصتكم..!

صوت ٣ : يا قمر القرية.. يا قمر القرية.. بقي واحد لم يأخذ حصته.. أنا أوصلها إن شئتِ ..؟

صوت قمر القرية: من يكون هذا..؟

صوت ٣ : رجل غريب، جاء وسكن الخرابة.. على كتف المطخ..

صالح : أغبياء.. أنا غريب..!؟

(يصرخ بأعلى صوته)

أمعقول أنكم لم تعرفوني.. من الذي بعث الرسالة إذن..؟

صوت قمر القرية: (وهي تضحك بشكل هستيري) فاعل خير.

صالح : (وقد بدأ يفقد توازنه، ويصرخ بحدة) أنا صالح.. أنا الدكتور صالح السرسوقي

(نرى عدد من الأكياس الشفافة التي تغلف الجرائد، وهي تتساقط على الخشبة، يقوم صالح بتجميعها بحالة هستيرية.. وهو يصرخ)

أنا صالح.. أنا الدكتور صالح السرسوقي.

صوت قمر القرية: مرحباً بك يا صالح.. يا ابن الخدّامة..

صالح : هذا أنت !!... ألم يكفِ ربع قرن من الزمان لتنسي

(يفتح أحد الأكياس ويريها الجريدة)

خذي اقرأي

الدكتور صالح السرسوقي.... تعالي اقتربي

صوت قمر القرية: (بصوت عال) ارجع

صالح : لماذا أرْجعْ.. ؟!..

انظري ماذا كتبوا عني..

كان علي أن أغيب ربع قرن من الزمان كي تريني كما أنا الآن... جديراً بك.!

صوت قمر القرية: كنت دائما جديرا بي..

ولكنك ضعفت أمامهم...

خسارة لم تستطع ان تكون جديرا بي

صالح : كان مدّهم أكبر من كل شواطئي..

أمواجهم عالية وأشرعتي ممزقة...

كنت تعرفين ذلك..

أنت مزقتها

ألم يكن أبوك شريكا لأبي كاسر...

أبو كاسر الذي لفظني كمن يلفظ عقب سيجارة كي لايشاركه أحد بميراث أخيه..!

وأخوه.. هو أبي!!

وأنت وأبوك..

كنتما شريكيه في هذه المؤامرة

ألم تقولي لي ابحث عن خادمة تتزوجها

ألم تقولي لي أنك كنت تكذبين علي

وأنك لم تحبيني يوما

ألم تقولي لي

إنه من الجنون أن يفكر أمثالك بقمر القرية

ها..!

مَن أجبرك..!

اجل قوليها..!

لم تتجرأي على فعل أي شيء

صوت قمر القرية: مازالت قمر القرية تحبك... ما أبشع الاعتراف بعد فوات الأوان

(يتجمّد المشهد... يرتفع صوت بكائه)

صوت نسائي:

«لا تلوم المبتلي بيكفي ملام   والله العشق الأوّلي ما هو حرام

أني ما بعثتلك غير السلام   حتى تبقى يا وليف الروح إليّ»

(يرتفع صوت المطر، وقصف الرعد ويتمازج مع أصوات الحيوانات.. وأصوات الأهالي.. ثم تتداخل مع بعضها.. بعد ذلك تمتزج بموسيقى مناسبة..

ينهض صالح.. ينظر باتجاه قمر القرية.. يقترب من عمود الكهرباء.. يخرج غليونه يضعه في فمه. يبحث في جيبه عن عود ثقاب يجد طقم أسنان الجدة)

صوت الجدة : «يا ستي سماع هالمتل، الذي لايحطك كحلا في عينوه... شو بيقولوا والله ماني متذكرة يا ستي»

صالح : (ابتسامة مرة) من لا يرتضيني كحلا في عينيه.. لن أقبله نعلا في حذائي..!

(يفتح الحقيبة السامسونايت يضع فيها طقم الأسنان مع الدامر ثم يَهمّ بالخروج يتوقفّ فجأة يضع حقائبه ويتجه إلى الدمية يحملها ويضعها فوق الصندوق ثم ينزع ساعته من يده ويضعها بيد الدميّة ويحرّك يدي الدميّة وكأنها تقول لقمر القرية تفضلي هذا سريرك... يحمل حقائبه ويتجه إلى عمود الكهرباء؛ ويضغط مقبس الكهرباء بغليونه فتظلم الخشبة... نسمع صوت أم ريحان)

صوت أم ريحان:

لا تلـــوم المبتلـــي ويتبتلـــي   ما أصعب فراق الموالف يا هلي

الـسفينة بـالبحر خلقـت لنـوح   والعـشق هـذا مـن الله محلـلِّ

(مع الصوت يشعل عود الثقاب و يرفعه إلى غليونه)

إظـلام

دمشق / ٢٠٠٦

النص الثاني: مسرحية

نسمة عطر

« آدم وحواء »

دمشق / ٢٠٠٩

التراث البشري للجميع..

والفكر الإنساني هو لكل الذين ينتمون إلى هذه الفصيلة، التي تضيع ملامحها على كل مفارق حياة..

ولأن الفكر الإنساني ليس حكراً على أمة دون أخرى؛ كانت كل موضوعة من «المرأة، الرجل ،الحرية، التراث، والسلطة»؛ هي أساس ما يقوم عليه الفكر الإنساني ؛

إنها حوامل حياة البشر..

فكل ما حدث و يحدث في هذا العالم، يعود لهذه الأقانيم،

لدرجة أن الحروب بأشكالها، من الإقصاء إلى حروب الإبادة، تظهر هذا الكم الكبير من غباء الجنس البشري..

فأي عبثية هذه؛ وأي قرف.!

ثمة توليفة في هذا العمل لتحويل الحالة الشعريّة إلى المشهد البصري حيث تترافق الكلمة الشعرية والعلامة الموسيقية، مع حركة الجسد بما تحمله من مدلولات ومكوّنات.. !

فالروح الشكسبيرية المتطايرة التي حاولتُ التقاطها، ستكون بمثابة منولوجات يرويها الراوي ممهداً أو معلقا على مصائر آدم وحواء اللذين يرميان على الخشبة بكل منغّصات العمر الذاهب إلى القادم من الأيام،

المؤلف

الشخصيات

الراوي : رجل ينطق بالحكمة، يشخص الحياة بشكل صحيح، من خلال التمهيد للمشهد أو التعليق عليه.. ويظهر وكأنه مهيمن على الجميع في كل المشاهد... لكنه لا يبني أية علاقة مباشرة مع الشخوص الأخرى..!

آدم : في الأربعين من عمره... كاتب ومخرج مسرحي.

حواء : في منتصف العشرينيات من العمر.. كتلة متحركة من النشاط والحيوية.. تعمل ممثلة في المسرح..

مجموعة من الراقصين والراقصات

تدور أحداث هذه المسرحية أثناء البروفات...!

المشهد الأول

الخشبة مظلمة... نسمع موسيقا توحي باللانهائية... وفجأة تتوقف هذه الموسيقا حين ترتفع الإضاءة لنجد مجموعة من الراقصين الذين يؤدّون رقصا تعبيريا على أنغام وإيقاع موسيقا السوناتة التي تغنيها حواء

(يرتفع صوت الأغنية)

«أيها الزمان الملتهم

أثلم مخالب السبعِ

واجعل الأرض تلتهم حلو بنيها

واقتلع من فك النمر الشرس

نيوبه المواضي

واحرق العنقاء في دمها

إذ يطول العمر بها

وجيء..

إذ تعبر مسرعاً بفصول من الشدة والرخاء

بل افعل ما شئت يا زمانا

حثيث الخطى

بواسع الدنيا

وكلِّ ما فيها من حلوٍ

سيذوي –

غير أني

لأنهاك عن جريمة شنعاء واحدة؛

إياك أن تحفر بساعاتك

جبين حبيبي الوضاء

أو ترسم عليه

خطوطاً بقلمك القديم

ولا تمسه بسوءةٍ

إذ أنت في سبيلك

لكي يدوم أنموذجا

للجمال للأجيال القادمة

ولكن

افعل شرّ ما شئت أيها الزمان الهرم،

رغم جورك

سيحيا حبيبي شاباً

في شعري إلى الأبد»...

(مع انسحاب الراقصين من المشهد تخفت الإضاءة ثم ترتفع ثانية.. فنرى حواء على الخشبة ترتدي بنطال جينز و(تيشرت)، وترتدي فوقه قميصا مفتوح الأزرار.. تحمل بيدها قطعة من القماش الأزرق على شكل وشاح تركض على الخشبة بحيوية.. تفرد قطعة القماش الأزرق بكلتا يديها.. وكأنها تراقص الريح.. تشكل مع شعرها الطويل المفرود على كتفيها لوحة فنية جميلة.. تتابع رقصها بينما الراوي يتحدث).

الراوي: الحب الذي يرنو إلى الحياة بعين التفاؤل؛

هو الذي يجعلها جميلة كالصباح..

يجعل عيون العاشق لا ترى إلا الحقول الخضراء

والبحار الزرقاء...

والجبال المكسوّة بالشجر..

آه أيها العاشق..

ما الذي يجعل المرء يطيل التحديق في هذا العالم..

وهذه الحياة... ولا يستطيع للحظة واحدة أن يكفّ عن رؤيتها..!

ما الذي يجعله يضرب نطاقاً حول عينيه؛ لتمنعهما من رؤية أي شيء إلا الزهور.. والشمس؛ وهي تغفو على قارعة الحلم..

لو تعلمون كيف هو الحب يكون..!

آه أيها الناس..

يا أولاد الخطيئة والظلم والجبروت..

لماذا كل هذه القسوة..!؟

حواء : ينهار هذا العالم..!

البشاعة تغطي كل شيء..

البشر أصبحوا أكثر المخلوقات شروراً.. !

إلى متى سيستمر هذا العذاب..

تعبت روحي من هذا الصرير..

ما عدت أقدر أن استفيق على صوت الكآبة وهو يجتاحني..!

إلى أين سأمضي بكل هذا العذاب..!

(تنهار على الأرض.. وتصمت لبرهة، ثم ترفع رأسها وتحدّق باتجاه الجمهور بحيادية تامة.. يدخل آدم يراها غارقة بتلك الحالة، يقف بعيدا عنها وهو ينظر إليها)..

أخذت نصيبي من العذاب..

ألا يكفي.. ؟

صرت أشعر وكأنني متعهدة لأحزان هذا العالم.!

يجب أن أفعل شيئاً آخر، غير هذا النعيب..

(تنهض بعنفوان وتعيد تشكيل الوشاح وكأنها تراقص حبيبها)

يجب أن أتحرر من كل هذه القيود..!

(ترقص بحيوية)

الراوي: كانت المرأة التي قامت في تلك اللحظة من فراش الوقت

وجلست تنتظر أن يأتي ذاك الزمان،

حيث أفنت أكثر من نصف عمرها الضائع

تنتظر وتعلم أن المدائن التي أتت بها إلى هذا القفر الموحش

هي بالأساس خديعة كبيرة

لم تمارس إلا على ذوي القلوب المهترئة..!

لم تعرف من قبل

أن كل أولئك العشاق الذين زُرعوا كما نبات البابونج على كل المساكب، وفي كل الحقول كانوا هاربين مثلها تماما..!

إلى أين تمضي وهي لم تعرف من الفرار غير اسمه الذي نسيته للتو..!

صارت ضائعةً!

تذكرتْ في المرة الأولى

حين قابلت بها ذلك الشاب الوسيم،

أن يدها كانت خشنة بما فيه الكفاية

لتكون غير قادرة على ملامسة يد ذاك العاشق...

فقامت بتطريتها بقدر ما يسمح لها الظرف...

لم لا وهي لا تريد شيئاً..

غير أن تحظى بيدٍ؛ تلامس يدها غير يد أمها

التي أمطرتها بالسباب

حين أدركت أن ابنتها أصبحت على عتبات الخطر..؛

فهي قاب قوسين أو أدنى

من أن تصبح امرأة في أيّة لحظة..!

المخرج : قبل أن تتحرري من القيود.. لماذا ترقصين وحدك..؟

حواء : لأن آدم لم يأتِ بعد..!

المخرج : يقتلني بتأخره هذا الآدم.!

سأقتص منه حين أراه.

لكنني الآن سأكون أنا هو.!

هل نعيد..؟

حواء : ألم يعجبك ما شاهدت..؟

المخرج : بدأت بشكل جيد..

لكن يجب أن تكوني أكثر استرخاءً..

لم كل هذا التشنج..؟

دعي يديك تتحركان بانسيابية،

يجب ألا يظهر أثناء هذه الرقصة أيّ إحساس بالتوتر..

ثم لا ضير أن تنزعي عنك هذا الوشاح، في منتصف الرقصة..

دعيه ينساب وحده وكأنه ماء قد انسكب..!

حواء : (وهي تنظر إليه، بقسوة)

لكنني أرى هذه الشخصية تماما كما قدمتها الآن..!

وخاصة هذا الوشاح..

أشعر وأنا ألاعبه،

كأنني أخرج من هذا البرد الذي يستوطن كل خلايا جسدي.!

المخرج : (وهو يبتسم)

حتى وأنت تتحدثين الآن لم تتخلي عن هذا التشنج..

ثم إن الشخصية ليست بحاجة لهذا الوشاح

حواء : أنا أحسه ضروري..!

المخرج : أنا آدم

(بعصبية واضحة)

أنا المؤلف والمخرج...

(يستدرك بحزم)

ولا أريد أن تظهر في هذا المشهد أية عوامل مساعدة

تعكس دواخل الشخصية..

أريد أن أحسّ بروح هذه الشخصية كما هي..

بجمالها وقبحها ..

لذلك لم أجد ما يستدعي وجوده هنا..!

أما في المشهد الأخير؛

حواء : هو الموت..!

المخرج : ومن قال ذلك..؟

حواء : أنت..!

المخرج : لم أقصد هذا المعنى.... !

ما قصدته أن الموت هنا..حالة رمزية !

هو موت البشاعة التي تغطي بعض جزيئات هذا العالم القذر..

كان عليك أن تعرفي ذلك من لون الوشاح..!

حواء : ظننت أنك تريد أن تلعب على اللون..!

المخرج : أنا فعلا كذلك..!

حواء : وتلعب عليّ أيضاً..؟

المخرج : مجنونة.لكنك رائعة..!

(ينظر إليها باندهاش)

هذا الدور اللعين سرقك بشكل كامل..!

حواء : أنت بدأت الحديث..!

المخرج : أنا الآن أتحدث بعيدا عن تلك الشخصية الدرامية..

وأنت ما زلت تغوصين فيها..!

حواء : (ترخي يديها بجانبها، بطريقة تظهر وكأنها قد أصيبت بإحباط شديد)

لا فائدة..!

المخرج : (يتشارك معها بالإحباط)

كنت أظن أن ثمة شيئاً جميلاً ممكن أن يخترق هذا الضجيج

حواء : أتعرف..؟

المخرج : ماذا..؟

حواء : أحس أن موتي هو هذا الشيء الجميل الذي تتحدّث عنه..!

(يشرد بكلامها، بينما هي تصمت لبرهة)

غيابي عن هذا العالم؛ هو مصدر السعادة الحقيقية..!

المخرج : على ما أعتقد ليست هذه الجملة من المسرحية..!

حواء : (تعود لحالتها الطبيعية..نراها وقد جلست على كرسي بطريقة غير تقليدية)

وماذا يهم إن كانت، أم لم تكن..!

الغياب هو النهاية الحتمية للأشياء..!

(يقترب منها وقد أشعل سيجارتين.. يجلس بجانبها ويقدّم لها سيجارة.. تأخذها وهي تنظر إليه)

آدم : أية مجنونة أنت..! وأي مجنون أنا.. !

أتعرفين.. أحيانا أشعر أنك تتحدثين عني..!
وأحيانا أخرى أشعر أن ما تقولينه ما هو إلا محض هراء..!

حواء : هذا الهراء هو الذي يجعلني أشعر أنني حاضرة ..!

آدم : لكن.. إذا كان هذا الحضور لمجرد الحضور، فهو انتحار روحي..!

حواء : أصبح عندي يقين،

(تمد يدها في جيب قميصها وتخرج علبة حبات علكة.. تقدّم له العلبة فيأخذ حبة، وبدورها تأخذ واحدة وتضعها في فمها)

أن كل الأشياء في بحثها عن ذاتها،

لا تلقى إلا الهواء المقفر..!

كل شيء في هذا العالم سيصبح بلا هوية.. !

آدم : الحق معك..!

أصبحنا مجرد أرقام على خارطة هذا الذاهب للغباء...!

(يرتفع صوت الأغنية)

«حين يحطّ بي القدر وتعرض عني أعين الناس

فأندب وحشتي وأبكي لحالي المنبوذ،

وأقرع آذان السماء الصمّاء بصراخ ليس يجدي

وانظر إلى نفسي وألعن حظي

متمنياً نفسي امرءاً أكثر مني أملا،

لي محيا كمحياه، ولي ماله من الصّحب الكثير

مشتهيا لنفسي فنّ هذا ومجال ذاك،

قليل القناعة بما أنا في أشدّ التمتع به

وفيما أنا في هذه الأفكار أكاد احتقر نفسي

تخطر فجأة أنت ببالي، وإذا بحالي،

كقبرة عند انفلاق الصبح،

تنطلق من على كامد الأرض،

لتهزج عند أبواب السماء.

لأن هواك الشهيّ يثيرني حين أذكره..

فأزدري عندها استبدال حالي بالملوك»..

حواء : الغباء الإنساني هو ما ورثناه..!

(تنهض وتمشي على الخشبة باتجاه العمق)

إلى متى ستظل هذه الأشياء عدوة لنا..

إلى متى سنظل كلنا محكومين بالحاجة إليها..؟

أخشى ما أخشاه أن نتحول ذات يوم إلى شيء يشبهها..!

أمعقول أن نصبح كلنا توائم..؟

ثم ماذا سيستفيد العالم من كل هذا القرف الذي نحسّه

ونحن نمتطي هذا القهر..؟

أمواج الغربة تجتاحني..!

أشعر وكأنني سأتقيأ كل شيء دفعة واحدة.. !

(تضحك)

يا للسخرية..

حتى الأدوار التي ألعبها على هذه الخشبة

لا تخلو من هذا القرف..

أدوار بائسة.. معقدة.. مقرفة.. مشوهة.. لئيمة..!

(تنظر إلى وجه آدم)

وأنت لا تقلُّ بؤسا عني..!

أساسا أنت الذي أوصلت هذه المآسي إلى تفاصيل حياتي..

جعلتني أقف أمامك مشوّهة أحمل خطايا هذا العالم..

(تنفجر)

قل إلى أين سأمضي أبعد من ذلك..

وسط هذا الضباب المقيت..؟

كل يوم أحمل صليبي..

وكل الأيقونات المركونة في زوايا نفسي...

وأردد كل المعوّذات التي أحفظها غيبا..!

كي أبعد تلك الأشباح عن مدارات روحي المتعبة..!

أنا التي أصبحت بفضلك، علكا في أفواه الناس..

وممسحة في مجالسهم..

(تنفجر)

ماذا تريد مني أكثر من ذلك..؟

(تجهش بالبكاء)

آدم : لم أعد أعرف كيف أستفيق من هذا العجز

الذي يقض عليّ كل المضاجع..

أتذكر في كل يوم تلك المهازل

التي أصبحت تتناوب على دقائق هذه الحياة البائسة..!

أنا لا أريد شيئاً منك..

علمتني هذه المأفونة..

حياتي..!

أن أردد على مسامعي كرهي لها

وتقولين لي في الآخر ماذا تريد مني..؟

أنا لا أريد منك شيئاً..!

أريد أن أمتطي صهوة قدري بإرادتي

أريد أن أزهو بك..

أحيانا كثيرة..

أقول لنفسي مابك أيها الرجل.. ألا تراها..؟

هاهي تقف قبالتك..

كالحورة

حواء : (تنهض وتمشي على الخشبة باتجاه العمق وهي تردد آخر كلمة له)

كالحورة؛ ولم ترني !

ما الفائدة من هذا الطول الفاخر..!

(ساخرة)

لو أن أحداً يخبرني..!

(تستفيق من حالة الشرود التي تعيش بها)

لو أن أحداً يخبرني..

عن الأحلام التي اغتصبها ذلك العربيد

الذي استوطن قلب المكان..

وأنا ما أزال طفلة..

تلهو وتعبث باحثة عن الأمان..

يا ضياع الحنين والآلام التي عششت في نفوسنا..

بعد ما قتلتها عقولنا المتراكضة خلف السراب..

من ذا سيخبر الناس عن الطفلة التي أصبحت امرأة

بأقل من ثانية

وتحولت إلى عشيقة متعددة المواهب..

آه أيها الزنادقة..

أين هو مستقر هذا العالم

الذي يسير على فوهة الموت في كل ثانية..!

الراوي: هذا ما كان يؤرّقها

كيفما التفتت...!

لم تكن تعرف أن المدائن تلك

التي اقتادتها إلى أول مفرق

على يمين الهلع والخوف والتشرّد

كانت مدينة الحلم

الذي عاشته سنين طويلة

وهي تنتظر أن ترى في كل صبح قادم،

ولو للحظة..

ضوء النهار..!

ماذا تفعل..؟

والقلب بات لا يتسع إلا لذكرى..

همسة أو لمسة للحبيب

حواء : (تشرد بخيالها، ثم تعود لوضعها السابق)

كم أتمنى الآن فنجان من القهوة..

آدم : (وكأنه يقوم بتقديم فنجان القهوة إليها)

هاك.. وابقِ في الدور..!

حواء : (تمد يدها وكأنها تأخذ الفنجان..تنظر بعينيه وكأنها تتذكر أين توقفت ثم تعود لوضعها السابق)

آه أيها الزنادقة..

أين هو مستقر هذا العالم

الذي يسير على فوهة الموت في كل ثانية،

ليست هي كما كنتَ تظنُها من قبل.. !

كيف تبرر للناس أن هذا العالم الموحش الذي نحيا به

مزيج هو من الملل والكآبة والوحشة..؟

كيف ستقول لكل الناس أن هذه القادمة إلى نفسك،

من قبل أن تأتي الكلمة العاشقة إلى أذنيك،

لتدخل شغاف القلب

هي أنا.. !!

التي تسكن فيك..

في قلبك أيها المتمرد على كل القوانين البشرية..

وأنت تحاول انتزاع ما تبقى من نسائم للخريف..!

كانت تهب يوما على خصلات شعري..

وأنا أسير بجانبك على كتف ذاك الزمان..

آدم : (يقترب منها من خلفها.. يمسكها من كتفيها)..

في كل ثانية أراك أمامي..

وأنت تتجولين على ضفاف الوقت..

تضعين على شعرك ورق إيلول..

وتسيرين على مفارق هاتيك الذكريات..

تطيرين كفراشة تاهت في العاصفة

عن الزهرات التي تمايلت مع تلك النسائم

حواء : كلامك جميل أيها العاشق..!

آدم : (يديرها باتجاهه) أتعلمين..؟

وأنت بجانبي أشتاق إليك..!

حواء : أنا التي أشتاق إليك أكثر..!

(يتعانقان؛ بينما تخفت الإضاءة بالتدريج)

إظلام

المشهد الثاني

(يرتفع صوت الأغنية)

«كفاك أسى ما أتته يداك!

فللورد شوكٌ

وفضيٌّ الينابيعِ لها وحل..

والغيوم والكسوف تلطخ رونق الشمس والقمر..

وفي شذى أكمام الزّهر

يغذي نفسه الدودُ الكريه.

فللناس عيوبٌ،

ولي في هذا القول أنا،

إذ أبرّر افتئاتك بالتشابيه

مفسداً بنفسي ما تحتاج في تقويم نفسك،

غافراً خطاياك غفراناً

يربو على إثمك:

لأني عن هفوة شهوتك أقدّم الأعذار

فأغدو، وأنا الخصم،
محامياً عن خصمي
وأرفع الشكوى ضد نفسي.
يا للنزاع الداخلي في حبّي وكرهي !
من نفسي جعلتُ شريكا مكرهاً
للصٍّ جميلٍ ظالم يسلبُ مني نفسي»..

الراوي : كنّا غريبين..

وشاء القدر أن نلتقي...
قطعنا مئات الأميال في ذات المكان حتى كان اللقاء
و بدأت الحكاية...
كأن الحياة لا تأتي على ما يبدو....
لم أعجب من الأمر،
لعل كل الذي زرعَتهُ الحياة في الطرقات..
هو وحده المخول بإيصال المشاعر والأحاسيس بين الناس..
كل ذلك
وأنت تستذكر تلك العبارات التي صار تكرارها إدمانا..
حين يجمع الله بين قلبين
لا يستطيع الإنسان مهما عظم أمره
أن يفرّق بينهما،

حينها تتحدث الحياة والحب بلسان واحد...

وهو دائماً مَنْ يبدأ بالحديث..!

(ترتفع الإضاءة فنرى آدم مرتميا على الخشبة بحالة مزرية.. يتحرك آدم بتثاقل بينما حواء تجلس على مبعدة منه، وهي تنظر إليه)

حواء هل تألمت ..؟

آدم : (ينظر إليها بدهشة واستغراب)

نعم..!

حواء: (مستفسرة) كثيراً..؟

آدم : لا أعرف..

ولكنني أشعر أنني صرت متعهد الألم في هذا العالم..!

حواء : (وهي تبتسم محاولة ملاطفته)

أنت تبالغ كثيرا.. كعادتك دائما..!

آدم : (يحاول النهوض فنراه يتألم ويصرخ من شدة الألم)

آه..آه..!

حواء : ماذا بك..؟

آدم : كلما أتذكر ذلك المكان أشعر بضآلتي..!

حواء : صدقني كلها أوهام..!

آدم : (مستهجنا)

كلها أوهام..!

حواء : نعم كلها أوهام ولا توجد إلا في رأسك..!

آدم : إن كانت هذه أوهام فما هو الواقع..؟

أين هي الحقيقة..؟

حواء : اسأل نفسك.. لماذا تسألني أنا..؟

آدم : (ينفجر بوجهها رغم ألمه)

لأنه لولاك.. لما كان ما كان..!

(يصرخ مقهورا)

يا رب السموات..

أيّ عذاب هذا الذي عليّ أن أتجرعه في كل لحظة..

إن روحي كادت تخرج من بين ضلوعي

وهي تتعذّب بلهيب الشك..!

تلعن الساعة التي وصلت بها إلى هذه الخاتمة..

يقتلني القهر والعجز

وأنا أراك أمامي وكأن شيئا ما حصل..!

حواء : (وهي تبكي بغضب)

يا رب السموات ساعدني أنا.. أنا..!

أنا التي أتحمّل هذا العذاب..

آدم : أي عذاب هذا الذي تتحمّلينه..؟

حواء : مجرد وجودي معك وأنت على هذه الحال

هو العذاب بعينه..!

آدم : قولي إذن..

اعترفي أنها ليست شكوكا..

إنها حقيقة..

وحقيقة مرة..

تهربين منها..

لكنها ستظل تلاحقك في كل مكان..!

حواء : (تنظر إليه كاللبوة)

الحقيقة الوحيدة التي أعرفها

أنك بحاجة إلى الخروج من ظلمة أفكارك وتهيؤاتك ..!

آدم : (يبادلها النظرة وينفجر بوجهها)

أفكار وتهيؤات..!

يا لهذه القسوة التي عششت في نفسك..

لم يبق إلا أن تقولي عني، إنني مجنون..

حواء : أنا التي سأصبح مجنونة إذا استمرت الأمور على هذا المنوال.!

آدم : (يتجه نحو المرآة المعلقة على جدار الخشبة الأيمن ويحدّق بها ثم يتحدث مع نفسه)

كم هو مؤلم حقا

أن تقف أمام المرآة يا آدم، فلا تتعرّف على نفسك.

تنادي بصوت مرتفع

فلا يصل صوتك، حتى إلى أقرب نقطة لأذنيك

كم هو مؤلم حقا..

أن تشعر بالظلم والغربة من أقرب الناس إليك

وتعجز عن الانتصار لنفسك..

مؤلم أن تتنازل عن كل الأشياء التي تحتاج إليها

لأنك غير قادر على حمايتها

من هو الذي أخبرك وزرع في نفسك سهولة

تغيير بعض مبادئك لتساير الحياة. .

وأقنعك أنك لست مضطرا يوما إلى القيام بدور لا يناسبك.

قل لي..!

من هو الذي نخر رأسك وهو يقنعك

أن تضع أجمل ما لديك تحت قدميك

كي ترتفع عاليا وتصل إلى القمة

أيها البائس

قالوا لك تظاهر بما ليس في داخلك
كي تحافظ على بقاء صورتك جميلة أمام الناس
أي أناس هؤلاء الذين تحاول مداراتهم
(وهو يبكي)
الناس الذين جعلوك كقطعة من الجبن
(وهو ينهار)
قالوا لك صافح بحرارة يدا تدرك تماما أنها ملوثة
وانحنِ لذل العاصفة كي لا تقتلعك
من مكانك الذي تحرص على البقاء فيه..
كم هو مقرف أن تبتسم في وجه إنسان
تتمنى لو أنك تبصق في وجهه مئات المرات..!
آه كم هو مؤلم
أن تعاشر أناساً
فرضت عليك الحياة وجودهم في محيطك
ترفع رأسك عاليا
وأنت تحاول تمجيد الله في عليائه
فترى الأقزام قد أصبحوا أطول قامة منك.!
تغمض عينيك على حلم جميل
وتستيقظ على وهم مؤلم

حواء : (تقترب منه وتقف خلفه محاولة ضمه)

لماذا تفعل هذا بنفسك

آدم : (وهو في قمة غضبه)

وماذا تريدين مني أن أفعل

أنظر من هذه النوافذ وأصرخ يا عالم إنني مجنون

لأن حواء تريد مني ذلك

حواء : أنت تهوّل الأمر كثيرا

آدم : أنا لم أهوّل الأمر.. !

حواء : وماذا يعني أن تكون ظروفك على هذا النحو..

هل أنت وحدك في هذه الحياة الذي يعاني..

آدم : كنت أنظر إليك وأنت أكبر من كل هذه الكائنات التي تحوم حولي

حواء : وماذا وجدتني.؟

مثل ما كنت تظن..أم أقل شأنا من ذلك..؟

آدم : لا أعرف..!

حواء : ومن هو الذي يعرف إذن..

(متسائلة)

أنا..؟ لا أظن..!

لقد أخبرتك أكثر من ألف مرة

-٧٥-

أنني وإياك في هذه الحياة معا..!

وأنت تصّر على أن يكون كل واحد منا وحده..؟

لماذا..؟

هل أنا دون مستواك..؟

آدم : كنت أرسم لك صورة في خيالي.. تحسدك عليها كل نساء العالم..!

حواء : ماذا حصل إذن حتى تغيرت..!

آدم : أنا لم أتغير..!

حواء : بل تغيرت..

وتغيرت كثيرا..!

كنت تريدني أن أكون تلك اللعبة

تلجأ إليها في لحظات ضجرك..!

لكنني لست كذلك..!

آدم : ومن قال إنك كذلك..!

أو أنني أريدك على هذه الصورة..؟

حواء : أنت..!

آدم : أنا..!؟

حواء : نعم..!

آدم : هل قرأتِ سلوكي معك على هذا النحو..!

(صمت.. يقترب منها وهو يحاول ملاطفتها)

كم أنت قاسية..!

حواء : (بغنج)

أنا القاسية..؟

آدم : (يحضنها)

مجنونة..!

هل تتخيلين أنني قادر على العيش من دونك..؟

كيف أعيش من دونك وأنت توأم الروح.!

(يرتفع صوت الأغنية)

«حين تُقسمُ حبيبتي بأنها مصنوعةٌ من الوفاء

أصدّقها، وأنا أعرف أنها تكذب،

عسى أن تحسبني شاباً لم يُعْجمْ عودُهُ

جاهلا بأخاديع الدنيا وفنون مكرها..

وهكذا إذ احسب عبثاً

أنها من الشباب تحسبني

رغم علمها بأن أيامي غادرت عنفوانها..

أصدّق دونما شرط

لسانها المفتري

فيكبَتُ الصدق المجرد هكذا في الجانبين:

ولكن لماذا تراها لا تقول إنها لا تخلص لي ؟

ولماذا لا أقول أنا

إنني قد كبرْتُ ؟

آه إنما خير عادات الحب ؛

هذه الثقة الظاهرة.

والعمر في الحب

لا يحبّ تعداد السنين

ولذا فإني أكذب عليها،

وهي تكذب عليّ

وكلانا في عيبه يتملق نفسه بالأكاذيب»...

آدم : كم أحبك أيتها المجنونة..!

(يتعانقان.. ويقبلان بعضهما في لحظة حب عالية يتجمّدان وتخفت الإضاءة بالتدريج)

إظلام

المشهد الثالث

الراوي: ألم يقولوا إن على الرجل أن يبدأ دوماً

آه منك أيها الرجل

حتى لو كانت هذه البداية هي أول طريق للموت....

وآه منك أيتها المرأة..

إلى متى ستظل حياتنا حقل تجارب في هذا العالم..!؟

كل تجاربنا في هذا المضمار

ما كانت قد نمت بما فيه الكفاية

كي نعرف أن تلك اللغة وتلك التفسيرات..

أكثر من غريبة

لا أحد يستطيع تفسير لغة العيون

عندما تصمت الشفاه..

نعم لا أحد يستطيع أن يفسر هذه اللغة

إلا من عاش بها..!

حين تدوّي الرياح...

وتهدر العاصفة ليهطل المطر..

بقوة غير معتادة،

أنظر حولي في كل الاتجاهات

أبحث عن صدرٍ واحدٍ دافئٍ

يقيني من الريح والمطر والبرد..

يشدّني إليه بقوة...

فأصحو من نشوتي

وأرفع بصري إلى السماء...

والدروب تأكلها خطواتي المتلعثمة..!

كأننا على موعد مع الفرح كنّا

وكان واقفاً ينتظرنا..

وكلٌ منا يرتعش..

(آدم وهو يقف على رؤوس أصابع قدميه في مقدمة الخشبة وكأنه سيهوي من فوق حافة جرف عالٍ.. وحواء تنظر إليه ساهمة)

حواء : لماذا كل هذا..؟

آدم : أصبح العالم اليوم مقلوبا رأسا على عقب..

يعاني الكثيرون من أمثالنا..

لأن هناك القليل من الحب

في الأسرة

في الحياة

في كل ما يجمع شريكين معا..!

لم يعد لدينا ما يكفي من الوقت لنحب الآخرين

ولا حتى لنحب أنفسنا

لم يعد لدينا وقت

حتى لنستمتع بهذه الحياة التي نحياها..

وتقولين لي

لماذا كل هذا الذي يجري..؟

حواء : سأظل مصّرة أن أعرف الجواب..؟

آدم : متى ستعرفين أننا السبب.!

حواء : أنتَ السبب..!

آدم : وأنتِ ..؟

حواء : لا دخل لي بكل هذه السخافات التي تنطق بها

آدم : ماذا..!؟

(يتمالك نفسه وكأنه يتراجع عما بدأه.. فنراه يعود إلى الخلف بكامل توازنه ويتجه نحوها)

لو لم تكوني أنت السبب في كل هذا..!

لما وصلت الأمور إلى هذه الدرجة..؟

من قال إن الحب يجب أن يبدأ من البيت..

وأنه لا يسكن إلا في البيوت فقط..!

ها تكلمي..!

حواء : وما الغلط في هذا..؟

آدم : الغلط هو حجم المعاناة التي نراها أمامنا

الغلط هو في هذا الحزن الكثير الذي نراه في عالمنا اليوم..!

حواء : وما دخلي أنا..؟

آدم : أنتِ التي قلت

إن الجميع يبدو مستعجلا

وأننا يجب أن نكون مثلهم..

نركض خلف المزيد من التطور والحضارة

المزيد من الثروة..!

كي نضمن المستقبل.. !

أي مستقبل هذا..؟

قولي لي أي مستقبل هذا الذي يجب أن نضمنه..؟

بعد أن خسرنا الوقت

ولم يعد لدينا ما يكفي من الوقت

لقول ولا حتى كلمة واحدة

لقد عم الخراب..!

حواء : وأين الأمل إذن..؟

ذاك الذي ثقبت أذني وأنت تحدثني عنه

وعن مزاياه التي تشبه الوصفة السحرية التي تستطيع معالجة أصعب الأمراض..!

قل أين هو..؟

كم مرة حدثتني أنك كنت ترى الله وأنت تنظف جرح إنسان

أو تمسح على رأس طفل صغير

تاه في زحمة الحياة...!

آدم : وأين هو هذا الطفل الآن..؟

بعد أن كبر في هذه الزحمة..!

حواء : ألم يولد غيره..! أم توقفت النساء عن الإنجاب..؟!

آدم : اسألي نفسك هذا السؤال..

حواء : ماذا تقصد..؟

آدم : إن أبشع أنواع الفقر هو الشعور بالوحدة..

وبأن لا أحدا يحبك..!

حواء : ولكنني أحبك..!

(يبتعد عنها وهو يحيد بنظره ساهما)

آدم : لم يسبق لي أن عشت في حرب كهذه الحرب..

كنت دائما أسأل نفسي

بماذا يشعر المرء عندما يفعل ذلك..!

حواء : يفعل ماذا..؟

آدم : يفعل مثلنا..

حواء : طيب نحن ماذا نفعل..؟

آدم : نعيش هذه الحرب..!

حواء : أية حرب..!؟

آدم : حرب اختيار الطريق..

أنت تريدين أن أسير معك بطريقك..

(مقاطعة بتهكم)

حواء : وأنت تريد أن أسير معك بطريقك..!

(ترتفع نبرة الصوت بينهما)

آدم : لأن طريقي هو الصحيح..!

حواء : ومن قال لك ذلك..!

آدم : أنتِ ..!

حواء : أنت دائما تفهم الأمور بطريقتك الخاصة

التي لا تعجب أحدا سواك..!

آدم : وأنتِ ..! ألا تعجبكِ ..؟

حواء : ليست كلها..

أحيانا..

كنت أشعر أن كلامك هذا هو المخلص الذي أحلم به..

آدم : ما الذي غيركِ إذن...؟

حواء : أنت الذي تغيرت..

أنا لم أتغير..!

آدم : أنت التي أجهضت حلمي..!

حواء : عدنا إلى القصة القديمة..!

آدم : لماذا ترفضين أن يكون لي ولد

أمسح على رأسه

أقبله..

أفني عمري من أجله..!

أنظر إليه وهو يكبر أمامي حاملا كل أحلامي معه..!

لماذا أجهضتِه..؟

(تنفجر باكية)

حواء : أنت أناني

لا تفكر إلا بنفسك..!

آدم : هذا ليس صحيحا..

حواء : بل صحيح..

وصحيح جدا

(تصرخ)..

جدا.. جدا.. جدا..

(يرتفع صوت الأغنية)

«عينا خليلتي ليستا كالشمس في شيء

والمرجان أشد احمرارا من شفتيها

وإن يكن الثلج أبيض فنهداها بلون الطين

وإن يكن الشعر أسلاكاً

فالأسلاك السوداء في رأسها تنمو؛

ولقد رأيت الورود الدمشقية

حمرها وبيضها،

غير أني لا أرى ورداً كتلك التي في خدّيها

وفي بعض العطور شذى أطيب

من الأنفاس التي بين فكيّها

أهوى سماعها تتكلم،

ولكنني واثق

أن للموسيقى أنغاماً أبلغ في النفس وقعاً

ولست بمدّع أني رأيت إلهةً تمشي أمامي

ولكن حين تمشي خليلتي،

قدماها تطآن على الثرى

حبيبتي،

وحقّ السماء،

أندرُ روعةً بظنيّ

من كلّ ما تقصرُ عنه

إذ أشبهها به عبثاً»..

حواء : لم تفكر إلا بنفسك..!

آدم : ألسنا واحدا..!

حواء : حتى لو كان الثمن الذي علي أن أدفعه هو موتي.!؟

آدم : ولكنكِ قتلتِ ولدي..!

حواء : لم يكن قد صار ولدك بعد..!

كان مشروع ولد

لم يصبح جنينا حتى..!

ما شعرت بحركته أبدا داخل أحشائي..!

فمن أخبرك..؟

آدم : أنتِ..!

أنت قلت لي إنك حامل..!

حواء : وإن يكن..!

آدم : (باستغراب ودهشة وامتعاض)

وإن يكن..!؟

حواء : (تحاول الملاطفة)

أنا أخبرتك.. لأنك زوجي.. وأبو طفلي..!

آدم : والآن مَن أنا..؟

حواء : أنت زوجي.. حبيبي..

آدم : لكنني لست أبا طفلك.. !

لقد قتلتِه في الرحم..

ولم تدركي ولو للحظة

أنه هدية من الله..!

أتعلمين..

إن أعظم شيء يدمر السلام على هذه الأرض

هو الإجهاض.!

حواء : ما هذه التخاريف..؟

آدم : ليست تخاريفاَ ..

إنها الحقيقة..

فإن كان بمقدورك قتل طفلك..

فما الذي سيمنعك من قتلي..

وما الذي يمنعني من قتلك..؟

إنه الفقر بعينه..

أن يموت طفلك كي تعيشي أنت كما يحلو لك.!

(تصعق من هذا الكلام الذي تسمعه.. فتنفجر بالصراخ والبكاء والغضب)

حواء : يا إلهي..

ما هذا الهراء الذي أسمعه..

آدم : هذه هي الحقيقة..!

حواء : (تبدو عليها علامات الغضب الممزوج بالحزن)

أنا أصبحت سبب مصائب هذا العالم..

وهل نحن وحدنا الذين لا يملكون الأطفال..

آدم : كان بإمكاننا أن يصبح لدينا..!

حواء : (وهي تكاد تنفجر)

وماذا يعني..؟

آدم : (باستهجان) ماذا يعني !!

يعني الكثير يا «مدام» ..!

أن تكوني في بيتك الذي تناديتِ به..

وقلت الحب سيغمره مدى الأيام..!

وبيدك تقتلين هذا الحب..

حواء : (تنفجر بوجهه)

لسنا وحدنا من نعيش بلا أطفال..

أنظر حولك..

سترى آلافا مؤلفة من العائلات التي لم ترزق بطفل..

ماذا حصل.. !؟

هل سقطت قطعة من السماء؛

أو لعل القيامة قامت ولم ندر بها

قل تكلم..!

ما ذنبي إن كان جسدي عاجزا عن هذا الحمل

(تجهش بالبكاء)

آدم : (محاولا التخفيف من الحالة)

كان باستطاعتك تحمّل قليلا من الألم

حواء : (وهي في ذروة حنقها)

ليس الألم ما كنت أخافه...!

إنه الموت..

(وهي تقترب منه)

لأني لا أريد أن أفارقك..!

آدم : (وهو يشيح بوجهه عنها)

بل تريدين..!

حواء : (وهي تصرخ بوجهه)

كم أنت فظ صغير قاسٍ متعجرف

هيا اذهب..

(تركض إليه وتدفعه باتجاه مقدمة الخشبة.. محاولة دفعه باتجاه الهاوية حيث كان يقف في بداية المشهد)

كنت مخطئة حين أنقذتك من السقوط..

إظلام

المشهد الرابع

(يخرج الراوي عبر كواليس المسرح.. وحين ترتفع الإضاءة نجد سريراً موضوعا على الخشبة وحواء جالسة على حافته... في حين نرى آدم يقف في زاوية الخشبة اليمنى... نجد في العمق حبلا طويلا متدليا من أعلى سقف المسرح)

حواء : كنت أقول له إن كل المواعيد التي بيننا
كانت مرسومة بالقلم والمسطرة..!
فماذا حصل حتى يستبيحني هذا الانهيار ؟
كان يأتي إليّ في ظلمة تلك الغرفة الموحشة..
عيونه تلك المغروسة على حافة جسدي..
تتمقل كل الأشجار النابتة على حواف عمري..
وهو مازال يترقب..
من أين ستأتي النسائم المقبلة إلى هذه الحياة..
أستفيق كل يوم..
كل ساعة..
كل لحظة..

على تلك الأصوات التي تمخر بي
عُبابَ التأوّه..
يا أنت..
التي شربت منها نفسي..
كل الثواني المضرجة بالأقحوان..
أنا على الوعد الذي استنزفني كل تلك السنين..
ما زلت أتجرع..
حصرم هذا الزمان..

آدم : **(يقترب من الحبل ويمسكه من طرفه محاولا لفه على عنقه)**
في الأيام الماضية..
شعرت أن الوجد الذي حملني إلى الموت..
بعض من متطلباتي التي تتحرك داخل جسدي؛
هذا الصندوق المقفل الذي تعبت من حمله..!
ماذا سأفعل أكثر من كل هذا العذاب الذي أتجرعه..
وأنا أنتظر الساعة التي سأقترب فيها منك..
تعتبين علي..؟
وأنا الذي عاندت لأجلك كل أقداري..!
حملت صمتي كل هذا العمر الذاهب إلى النهايات الحتمية..
وأنا أنتظر متى يعود هذا السراب إلى الفناء.

حواء : كن كما تريد أن تكون..!

آدم : (وهو معلق بالحبل متأوهاً)

هل تقبلين بي جزءا من قدرك..؟

حواء : لتموت من أجلي..؟!

آدم : أفضل من أن أموت للا شيء..

على الأقل يكون لحياتي معنى..!

حواء : ولماذا لا يكون المعنى إلا بالموت..!

آدم : الموت هو الانتقال فقط..!

وليس النهاية..!

حواء : انتقال إلى أين..؟

آدم : إلى حيث تريني أمامك عندما تغمضين عينيك.. !

حواء : ولكنني أراك الآن أمامي..!

آدم : مخطئة..!

أنت لا تريننى الآن..!

حواء : (بدهشة)

من هذا الذي يقف هناك إذن..؟

آدم : إن كنت تريننى فعلا.. قولي لي ماذا أفعل الآن..؟

حواء : تطير..

أجنحتك الكبيرة المفرودة..

تغطي كل تفاصيل وقتي.!

آدم : لكنني أشعر بالعجز عن الطيران..!

حرّريني.. أرجوك..!

حواء : كيف..؟

آدم : احمليني وانطلقي خلف جدران الألم..

وانثريني على خلايا الروح..

بضع كلمات ممزقة..

ووريقات مع قلم

حواء : كيف..؟

آدم : فكي أسري..

حواء : كيف..؟

آدم : هذه الربطة في عنقي..!

ما عادت أجنحتي تستطيع الحركة..!

خذيني يا حبيبتي.!

حواء : إلى اين..؟

آدم : خذيني إليكِ .!

حواء : ضم أجنحتك وراء ظهرك..!

(يرخي آدم يديه خلف ظهره بينما تقترب حواء وهي تحمل قطعة صغيرة من الحبل تربط بها يدي آدم من الخلف)..

آدم : (يصرخ)

ماذا تفعلين أيتها المجنونة.؟

(تدور من خلفه وتمسك الحبل من طرفه محاولة فكه عن عنقه.. لكنها تحكم الربطة أكثر..

ثم تدعه وتذهب وهي تضحك.. في حين يستمر آدم بالصراخ)

حواء : (وهي تضحك بقوة)

إنها الحرية التي تبحث عنها ..!

خذها..!

(يصارع آدم الحبل المعلق به..بينما تركض حواء في كل أرجاء الخشبة وهي تصرخ..)

خذها..

خذ الحرية التي تبحث عنها..! خذ حريتك..!

(يدخل الراوي إلى المشهد من بين صفوف المتفرجين بينما تلاحقه بقعة ضوء.. وهو يصعد إلى الخشبة..)

الراوي: احمل جراحك..

امض إلى الحلم...

امتطي صهوة الوقت

ورعشة القلوب الراجفة...

اجتز جسور عبورك....

وابن على قمم الرماد قصورك

فأنا الذي انتظرك على حدود الشمس...

فوق الغيم

تحت رفة العلم.

اكبس بملحك فوق قلبي

هذي العروق في قلبي

منذ العبور مقطعة

احمل لهيب الشمس؛

وقف على بوابة الزمن العنيد

انزع أمام الجميع عن وجهك.!

لون البراءة

والبس الوجه الجديد

اصفع بما تيسرَ

من حبك

من جهدك

من علمك

من صوتك

من زندك

بوابة الخوف..!

وخذ كل أرديتي

ولقمة عيشي المُنهك

خذ الموسيقا من أذنيّ

والشعر من صدري..

خُذ كلّ أوردتي..

خُذ كلّ أوقاتي..

من الفرح الذي كان..

والفرحِ الذي آت..!!

خُذ كلّ أسناني من ضحكتي

خُذ المشوار من تحت أقدامي

خُذ ما تريد....

هذا الكلام وحده يبقى

لن يكون كلاما بعد الآن

ما نعيد

افعل كما شئت وشاؤوا..

فلن تأخذ منا الوعيد..!!

(تعتم الخشبة بالتدريج.. مع موسيقا مناسبة)

إظلام

المشهد الخامس

(الخشبة مظلمة.. نسمع أصوات رجال ونساء متداخلة، تضيع مع الموسيقا قبل أن تنتهي بضحكة قوية لحواء.. ثم ترتفع الإضاءة.. نرى خزانة خشبية وضعت في الزاوية اليمنى، وسريرا وقد أحاطت به ناموسية نصبت على أربعة أعمدة في الزاوية اليسرى..

.. نرى آدم مرتميا على السرير وكأنه في حالة موت.

**\ تلعب إضاءة بداية المشهد دوراً هاما لإبراز هذه الحالة **

تقترب حواء من السرير وهي تحمل كأسا من الماء تدخل من تحت الناموسية. وترفع رأس آدم وتضعه على فخذها وهي تحاول أن تسقيه)..

حواء : أعرف أنه ذنبي..!

لكنني كنت أمزح..!

أقسم أنني كنت أمزح..!

ما كنت أعرف أن الأمور ستصل إلى هذا الحدّ ..!

أنت السبب..!

أنت من جاء بالحبل..!

أردتَ إخافتي..

و فعلاً خِفت في البداية..!

لكن..

حين رأيتك ترقص مع الحبل..

ارتحت..!

أعجبتني اللعبة..

فلعبتها معك..!

لكنني أقسم أنني كنت أمزح..!

أية بائسة انا..

في المرة الوحيدة التي قرّرتُ أن ألعب فيها معك، لم أعرف..!

(تبكي بحرقة شديدة)

إلى متى ستظلُ على هذه الحال..؟

الشفاه تيبّست..!

هل ستعود ثانية مطرا يروي شقوق أرضي..!

أم ستتركها جرداء..

لا تصلح إلا للمرور فوقها..!

(تبكي وهي تحسّ بالذنب)

تستنزفني أشواقي التي لم تعد تصلح إلا للذكريات..

من أين سأذهب الآن..؟

الطرقات كلها أصبحت أكثر من ضيقة..!

كم هي متع الدنيا التي حرمتني إياها..!

آهٍ لو تعرف ماذا فعل بي طيشك اللامتناهِ..

وحبك الجارف..

وغيرتك التي فقدت بصرها..

حين كنت لا ترى إلا عيون الناس

تتخيلها تأكلني في كل ثانية..

لم يعد بمقدوري أن أزيح عن نفسي تلك الهواجس..

كم مرة أخبرتك من قبل..

(وهي تخرج من تحت الناموسية)

أن الحياة التي تعيشها هكذا..

ما هي إلا وهم..

يتناهبك في كل ثانية..

عشرات المرات..

بل مئات المرات..!

(تصرخ بعالي حسها)

وَهْمٌ ..

خرافة..

دجل..

شعوذة..

وفي النتيجة تمضي بعيداً..

وتتركني أقف وحيدةً على حدود القهر الذي أورثتني إياه..!

(تدور على الخشبة كالمجنونة وهي تصرخ)

ماذا سأقول لك أكثر من هذا الذي قلت..؟

هل أحدثك عن الخراب الذي جئت به إلى لحظات عمري..؟

أم عن عشقيّ المجنون المكبل بالخطيئة ..

عشقي لك..

لقلبك الواسع الممتلئ بقصص العذارى

وأنا أبحث عن مكان فيه يأويني

ريثما يأتي قطار الرحيل..

لصوتك

وهو يتآكلني كلما تذكرت كلماتك

وهي تحفر في مسامات روحي ممرات لها..؟

من أخبرك أن تأتي إليّ..؟

من قال لك إنني أريد أن أراك عند مفترق الحاجة..

(تذهب باتجاه الناموسية وتنظر إليه لكنها تبقى خارجها)

قل لي..!

تكلم..!

لا تبقى صامتاً هكذا..

قل أي شيء..!

أرجوك..

اشتقت أن أسمع صوتك..

قل ولو حرفاً واحداً..!

(تبكي بحرقة وهي تنظر إليه ثم تصمت لبرهة.. تتجه مبتعدة عن السرير وهي في حالة ساهمة)

كيف سأقنع نفسي أنني..

ما زلت أعيش هذه الحياة التي كرهتني إلى هذا الحد..!

(تعود وتدخل إليه تحت الناموسية)

عندما كنت تضمني لصدرك كالوردة

التي ترتمي بين حواف المزهرية..

كنت أحسّ أنني الغيوم ..

تطير بين يديك..

وأنك ذاك الفضاء..

(تحاول مداعبته وهو مازال خرقة بين يديها.. ويبدو عليها أنها ما زالت ساهمة تعيش مع تداعيات حياتها المشتركة معه)

أتذكر النجوم ..؟

تلك التي كنا نراها ونحن على أعتاب الفضيحة..!

متعانقين في فوهة النسمات..!

يا ألله ما أجملها..!

أحبك..

(تضع رأسه على صدرها.. وهي ساهمة)

غداً سيكون العيد..!

سأرتدي لك ثوبي النبيذي القصير الذي تحبه..

سأجعلك تحملني في كل الاتجاهات..

لتطير بي عند مفارق الزمان..!

أرجوك انهض..

أرجوك..!

قل لي إنك ستحتفل في العيد معي ..

أرجوك..!

قل لي إنك لن تذهب وحدك..!

وأننا سنسافر معا حين يحين الوقت..

قل لي إنك ستنتظرني..!

(تضمه بقوة وهي تبكي.. في حين نرى ظلهما من خلف الناموسية وقد رسم صورة جميلة لهما.. تبقى الإضاءة خفيفة عليهما)

(يرتفع صوت الأغنية)

« لا الرخام ولا نصب الأمراء مطليةً بالعسجد

ستعمر أكثر من هذا الشعر المتين

بل سيبقى ذكرك ساطعاً في هذي الكلمات

أكثر من حجر يتسخ

ومرّ الزمان الأغبر يلوّثه

وحين تحطمُ التماثيل حروب ضروس

وتجتثّ يد النزاع

مباني الحجارةِ من أصولها

فلن يمزّق السيف، لا ولن تحرِقَ نيران الوغى

سِجِلَ ذكراك الذي سيحيا أبدا.

رغم أنف الموت والنسيان عدوّ الملأ

ستخطو إلى الأمام، ولمدحك دوما مكان

في أعين الأجيال المقبلة التي

ستسكن الأرض حتى تلاقي حتفها المحتوم.

فإلى يوم القيامة حين تبعث من ترابك،

في هذا القصيد ستحيا

وفي أعين العشاق تقيم».

(تخفت الإضاءة بالتدريج بينما نسمع موسيقا شفافة..)

إظلام

يسدل الستار

دمشق \ ٢٠٠٩

- (١)......السوناتا رقم (٢)
- (٢)......السوناتا رقم (٦)
- (٣)......السوناتا رقم (١٠)
- (٤)...... السوناتا رقم (٣١)
- (٥)...... السوناتا رقم (٢٧)
- (٦)...... السوناتا رقم (١٢)

النص الثالث: مسـرحيـة

آلام قمر القرية

دمشـق / ٢٠٠٧

الشخصيات

قمر القرية: صبية فائقة الجمال.. في الثلاثين من العمر.. زوجة شريف بيك

شريف بيك: رجل وسيم، مليونير، في الأربعين من العمر. كان مغترباً لأكثر من ربع قرن.

صبحي : رجل تجاوز الخمسين من عمره، متزوج ولديه أولاد. يعمل سائقاً عند قمر القرية، خبر الحياة، يعيش للحظة التي هو فيها..!

المشهد الأول

(الخشبة مظلمة، نسمع صراخ امرأة بشكل قوي.. وهي تتلوّى من الألم، وكأنها تتعرّض للاغتصاب.. ترتفع الإضاءة قليلاً على الخشبة .. فنرى ظل رجل وامرأة.. يؤديان حركات راقصة تعطي انطباعا بأنهما في حالة ممارسة الجنس بشكل عنيف.. تتداخل هذه الأصوات مع موسيقا صاخبة وكأنها وضعت للتورية.. في الزاوية الأخرى من الخشبة نرى ظل رجل آخر.. يحمل بيده حبلا ينظر باتجاه الجمهور، دون أن يلتفت إلى مصدر الصوت المنبعث منهما.. وهما في حالة الممارسة. نسمع صوت المرأة)..

المرأة : ابعد عني يا حيوان..!

(تختفي الإضاءة عن الرجل الذي يقف في الزاوية؛ وترتفع قليلا في الناحية الأخرى حيث نرى الرجل الآخر، وهو يُحْكِمُ سيطرته على المرأة.. ثم نسمع أصوات تنبعث منه، وكأنه ارتاح من تلك الشحنة التي كانت تحملها شهوته.. بينما نسمع صوت المرأة وهي تشتم وتبكي بحرقة شديدة)..

المرأة: وغد..! تافه..! حيوان..!

إظلام

-١١٠-

المشهد الثاني

(ترتفع الإضاءة على قمر القرية وهي تقف بمواجهة السرير تنظر إليه متحسّرة.. تقف وهي ترتدي ثوباً ناعماً شفافاً.. تقوم بحركات مثيرة، تبدو وكأنها شاردة أثناء نظرتها للسرير..)

قمر القرية: كلمات أمي تقضّ عليّ مضجعي

والوحدة ذبحتني..!

كل يوم أجلس على حافة هذا العمر الذاهب إلى الهاوية ؛

لألملم نفسي التي تبعثرت.

أيّ مالٍ، وأيّ عزٍ، وأيّ جاه..؟

ما نفعها كلها إن كانت عاجزة على الإتيان بلحظة سعادة حقيقية واحدة..؟

كلماتك ترن في أذني..

توقظ غباء هذا العالم لتضعه فوق رأسي...

ما أجمل أن يكون بال المرء هادئا..!

(تنفجر)

غبية..!

نعم أنا غبية..!

دائما كنت تقولين لي،

السعادة أيتها الحمقاء أن تكون كل أمورك على ما يرام.!

بالمال تستطيعين أن تفعلي ما تريدين..!

بالمال تحصلين على كل شيء..!

(تصرخ)

يا أمي..! أنا غبية.. لكنني أعرف أنها لن تكتمل مع أحد..!

(تصمت قليلا)

ما أجمل أن يكون البال هادئا..!

(ساخرة)

خاصة بعد الزواج..! إذا كانت الواحدة متزوجة من الحلم..!

(ساهمة)

كان حلماً لكل البنات..

(وهي تبتسم ساخرة)

كنتُ مثارَ حسدٍ من أهل القرية جميعا ؛

لكنّ الرجل لا يعيبه شيءٌ إلا جيبه

«وشريف ما شاء الله عليه كامل مكّمل».!

ماذا تريدين أكثر؟

مال وعزّ وجاه..!

وفوق ذلك وسيم وجذاب

«شبوبية بتاخذ العقل»..!

(تعود لحالتها السابقة.. وتنفجر)

أنا لا أريد كل شيء

أريد فقط شيئاً واحداً..

أن أشعر أنني مثل كل النساء..!

(وهي تبكي)

أنا امرأة يا أمي..؟

(تنفجر صارخة وهي تضع يديها على صدرها تعتصره وتدور على الخشبة كالمجنونة)

امرأة

امرأة

امرأة

امرأة

(تهدأ قليلا وتشرد بذهنها)

امرأة..!

تشتهي أن تكون قبالة رجل..

لتستمتع بأنها مركز اهتمامٍ صارخٍ..!

(تصمت قليلا وكأنها تفكر..ساهمة)

حسن يا أمي..

مادام المال معي...

فبإمكاني أن أفعل كل ما أريد..

أنت قلت ذلك..؟

(وكأنها تصحو فتهمس لنفسها)

سأفعل.. سأفعل يا أمي.. !

إظلام

المشهد الثالث

(ترتفع بقعة إضاءة ببطء شديد على السرير، وبقعة أخرى عند النافذة نرى على الخشبة سريراً منخفضاً قريباً من الأرض.. تبدو عليه مظاهر الأناقة.. من حيث نوعية المطرزات الموضوعة فوقه، والتي يميل لونها للذهبي..

وعلى النوافذ تتوضّع ستائر من المخمل وتحتها الشيفون الأبيض.. في زاوية الخشبة من الجانب الأيمن ثمة طاولة وكرسيان..

ويتوضّع على الطاولة زجاجة ويسكي وكأسان أحدهما فارغاً..

ثمة صور معلقة على جدران الغرفة لفنانات عالميات، في أوضاع تعطي إيحاءات جنسية مختلفة.... نسمع موسيقا هادئة.....

نرى قمر القرية وهي تنهض من على السرير وتتجه نحو النافذة تتحرك بطريقة مثيرة وكأنها ترقص مع حبيبها.. ثم تعود باتجاه السرير..

تستلقي بطريقة فيها الكثير من الإثارة، وبينما يعلو صوت الموسيقا.. تخفت الإضاءة ببطء شديد حتى الإظلام..

تتوقف الموسيقا.. ثم نسمع صوت جرس بيانو.. وبعد هنيهة نسمع صوت رتاج الباب وهو يفتح..

ترتفع الإضاءة لنجد قمر القرية تدخل إلى المشهد و صبحي يسير خلفها واضعاً يديه حول خصرها..! يصل إلى الطاولة ويجلس)

صبحي : (يصبّ لنفسه كأساً).. جاء بوقته..!

قمر القرية: يبدو أنك ملتهب من الداخل..!

صبحي : (وهو يرشف جرعة من الكأس) من الداخل والخارج..!

(متشوقاً) ما رأيك..؟ هل أعجبتك البدلة.؟

قمر القرية: أفضل من تلك الخرق التي كنت ترتديها..! لقد غيرتك تماماً..!

صبحي : كل شيء معك غيرني..! أصبحت لا أعرف نفسي..!

قمر القرية: (وهي تدور حوله وقد وضعت يديها حول عنقه)

هذا جميل؛ لكن الأجمل ألا يعرفك أحد بعد الآن..!

صبحي : (يقف وقد استدار نحوها محاولاً عناقها)

ما عدت أعرف إلى أين امضي بهذه الحال..؟!

قمر القرية: (تتركه وتذهب باتجاه النافذة، تزيح الستارة بطرف إصبعها. تنظر عبر الزجاج) ما كان يؤرقني..أن اللحظة التي كنت أحاول تجميدها.. كانت تمضي قسراً، وغصباً عني..! كان الخوف من فقدك، أكبر من إحساسي بحريتي..! شعرت، ولأول مرة ينتابني هذا الإحساس.. أنك حريتي.. وأنني مسوّرة بشيء لا أعرف ما هو، لكنه أقرب إلى الخوف..!

صبحي : لماذا..؟

قمر القرية: لقد حطمّتَ كل أسواري، واستبحتَ دواخلي، ووطنتَ حبكَ فيّ..

(تصمت لبرهة)

لقد استطاع هذا الحب أن يسيّطر على آخر ما تبقى لي من خلاياي، فأحكم قبضته عليها.

صبحي : (مزهواً) أعترف بأني صاحب هذا الإنجاز..!

قمر القرية: وأنا أعترف أيضاً..!

كل الذين قابلتهم قبل ذلك، كانوا يقرون بحقي في حريتي.. لكنهم كانوا أول من نزع عني هذا الحق، وهرولوا إلى الناحية الأخرى..!

صبحي : (بثقة مفرطة) لأنهم لم يقدّروك حق قدرك..!

قمر القرية: ماذا يعني تغير الأحوال..؟

(وهي تنظر إليه، بينما هو يقف صامتاً يومئ برأسه؛ أنه لا يفهم)

وهل هو ناحية إيجابية أم سلبية..؟ ولماذا الآن، والآن بالضبط..؟!

صبحي : أنا مثلك.. لا أعرف..! لكن أسئلة كثيرة تناوبت على فكري المتعب..!

قمر القرية: (تقترب منه وترمي برأسها على صدره، وكأنها أمام البئر الذي تتوق للشرب منه) ما أصعب أن تكون وحيداً وأنت تنتظر الخلاص..؟

صبحي : لم يكن بمقدوري أن أنشئ ولو كلمتين اثنتين؛ تفجران عجزي وقلة حيلتي..! خاصة عندما قام هذا المحتل الجديد

(يضحك وهو يشير إلى السرير)

بوضع حواجز التفتيش على مداخل حياتي، وعند منعطفات الوقت..!

قمر القرية: أنا مثلك.. شعرتُ بإحساس غريب..

كنت أمامك ضعيفة لدرجة الاستلاب..!

لقد حطم الصمت كل شيء في حياتي ..!

صبحي : الصمت حطم حياتك.. وأنت حطمت حياتي..!

قمر القرية: معقول..! أنا التي حطمتُ حياتك..؟

(وهي تلمّح لشيء ما) أم تلك..؟

صبحي : (وكأنه يفهم ما تعنيه) ماذا أفعل بها..؟ تلك التي لم تنطفئ..!

قمر القرية: كأن حياتك كلها مرهونة بها..!

صبحي : **(وهو يضحك ساخرا)** وما نفع الحياة دونها..!؟

قمر القرية: (وهي تلاطفه) دونها كارثة.

(بدلال وغنج) وبها يأتي السقوط..!

صبحي : ما أجمل السقوط إن كان معك..!

قمر القرية: كم بحثت عنك وأنا أرتجف.. انتظرتك طويلاً.! كنت أفتش عن مناسبة طبيعية أقدّم فيها فروض عشقي، لكن الحياة خذلتني. لم أجد نفسي إلا وقد أرغمت على الانحناء لقهر الحب..! أستطيع، ولأخر مرة سأردّد هذه الكلمات.. أن أحفر في أية لحظةٍ، ذاكرتي، وأسكنك بها طواعية وباختياري.! لكن؛ أن أجد روحي وقد انساقت خلف روحك مكرهة.. فذلك لم أقوَ على احتماله أكثر..! لهذا أعلن انهزامي أمام حبك..!

صبحي : (متسائلاً ومستغرباً) حبي..؟!

قمر القرية: نعم حبك..! **(تسترسل)** في المرة قبل الماضية، تلك التي جاءت بملء إرادتي لنهايتي.. وجدت العجب..!

صبحي : (يبتسم متباهيا وهو يصب لنفسه كأساً ويرشف منه) هممم...!

قمر القرية: كان كل شيء حولي يوحي بانعتاق النفس.. وخروجها من قوقعة المكان المكفهّرة..! لن يعرف أحد أن تلك الأمكنة التي انتسبتُ إليها معك.. قد سكنت في مواضع خاصة مني.. حتى لكأنني؛ أضحيت متماهية فيها..!!

صبحي : حين أتذكر ذلك الكلام المرعب.. تصل حالتي إلى الحدّ الذي لا أحسد عليه من الذهول والاستهجان معاً !!

(وهو يشير لجسدها)

هذا الجسد هو الذي استباحني بلا إذن...

هو الذي جعل وجداني منشغلا بشيءٍ لم أعرفه من قبل.. لكنني أحسسته بقوة !!

قمر القرية: كل شيء فيك..

يوقظ ذلك الصوت القادم إليّ

وهو ينادي ما كان مغمورا في داخلي...!

البعض قال إنه مجهولا..

لكنه ليس كذلك !!

إنه يعيش في داخلي..

أحسّه يعيش في تعرّجات روحي من الأزل..

صبحي : أتعلمين..! منذ أن تفتحت عيناي على هذا المرمر

(وهو ينظر إلى جسدها ويداعبه)

وبدأ الوعي يزداد فيّ.. وأنا أقول في نفسي..

أستطيع أن أمتشق الوقت في قبضة يدي ..

هذه المتعبة..! وأقتصّ من هذا العمر الذاهب إلى نهايات الحلم مهما كانت النتائج..!!

قمر القرية: خيالك يسكن ناظري كنت دائماً أراك ترتدي ثيابه..!
ومع أنني لم أعرف ذلك من قبل لكنني كنت أقنع نفسي حتى درجة اليقين أن ما تبقى من العمر لن يكون أكثر مما مضى؛ خاصة وأنا أرى الحياة تتسرّب من تحت أظافري...! يا للفظاعة...! كم هي الحياة قاسية...!

صبحي : مالك ولهذه الذكريات التي تربك تلافيف الدماغ.. وتجعل الكلام أقرب إلى الهذيان..!

(يمدّ يده مشيراً إليها أن تقترب)

تعالي فمثلك لم يخلق إلا للحب..!

(تنظر إلى صبحي وهي تبكي.. ومن ثم تقترب وتضع يديها حول عنقه وكأنها تودّ الرقص معه ثم تعانقه بحرارة.. وترمي برأسها على كتفه.. يقترب بها من السرير ويرميها عليه.. تخفت الإضاءة قليلا.. نسمع صوت موسيقا متداخلة مع ضحكات خفيفة، ثم تعلو الضحكات أكثر وتتحول إلى صوت مداعبة.. يتجمّدان على هذا الحال)..

إظلام

المشهد الرابع

(ترتفع الإضاءة على زاوية المسرح نجد شريفاً جالساً وحده يدخن.. وثمة مسدس بيده)

شريف: (وكأنه يتحدث لنفسه، وهو ينظر إلى المسدس)

كانت أمي تحدثني عن استحالة أن يأتي الربيع إلى حياتنا..

ونحن في هذا الجفاف القاتل..!؟

لماذا كل هذا الذي يجري ؟

ولمصلحة من.؟

كنت عاجزا..

كما الآن بالضبط..!

لم أستطع أن أبوح بكل شيء يعتمل في صدري..

لو كان بمقدوري حينها ؛

لجعلت عالي هذه الحياة سافلا لها..

والمفارقة المُرّة أن كل الذين نحبهم في حياتنا..

هم أنفسهم الذين يكيدون لسعادتنا..

يؤرقون وقتنا ووقتهم..

ومع ذلك لا نستطيع أن نقول لهم إلا كلمة واحدة..

نحبكم !

إنني بنفسي حملت هذه الخطيئة دون أن أعرف..

لأنها أحبت وتزوجت بمن تحب..!

(يصرخ وهو ينظر للمسدس بيده)

بنفسي حملت هذه الخطيئة دون أن أعرف أنني أذبح أختي وزوجها..!

فقط لأنها أحبت وتزوجت بمن تحب..!

يا إلهي..!

في المرة الأولى التي أحمل فيها مسدساً ؛

أقتل أقرب الناس إليّ..!

(يبكي بصمت.. ثم يصرخ منتفضا، وكأنه يقلد أمه)

أختك شريفة راحت «خطيفة»

وخلتْ رأسنا بالوحل يا شريف..

أبوك مات بالسكتة لأنه لم يتحمّل..

والآن يتحدثون عن الصلح.. !

ماذا يريدون منا..!

(يصرخ)

لكنهم يقولون إنها تزوجت على سنة الله ورسوله،

فلماذا تقولين ليتني أنجبت قطاً؛

ولم أنجبك يا عديم المروءة !

(يبكي بإذلال وهو ينظر إلى الصالة)

لا تقولي ذلك يا أمي....!

أنا ابنك شريف..

(يصمت لبرهة وهو ينظر باتجاه الجمهور)

حينها فقط..!

أعطتني المسدس..

واعتبرتني رجل البيت.!

وقالت أقتلها.!

(يصرخ)

لكنها أختي..

وحدها التي أحبها وتحبني..

إنها تحبني أكثر منك..

ومن أبي..!

(وهو يتذكر كلام أمه)

وماذا يعني **شريفة** راحت «خطيفة»..؟

وماذا يعني أنني رجل البيت الآن..؟

(يبكي وهو ينظر إلى الصالة)

ظلت تردد..

أقتلها وأغسل عارنا..!

لكن الأفظع حين قالت..

إياك وأنت تطلق النار أن تتوقف؛

إن رأيت زوجها أمامك فاتحا صدره ليتلقى الطلقات..

إياك أن تتوقف..!

اجعل رصاصاتك تخترق جسديهما معا ..

إياك أن تخاف من لون الدم وهو يتطاير في المكان..

إياك أن تشعر للحظة واحدة أنها أختك..

إنني بنفسي أحمل هذه الخطيئة دون أن أعرف..

قتلتها لأنها أحبت وتزوجت بمن تحب..!

قتلتها لأنهم أرادوني رجل البيت..!

(يبكي كالطفل الذي فقد عزيزاً عليه وهو يصرخ)

«الله يرحمك» يا شريفة ..

يا أختي..!

إظلام

المشهد الخامس

(ترتفع الإضاءة على الخشبة... قمر القرية ما زالت نائمة تتقلب في السرير ..
نرى شريف يذهب إلى جانب إحدى النوافذ.
يجول بنظره في أرجاء الغرفة تقع عينه على زجاجة المشروب والكأسين، ثم يقف وهو ينظر لقمر القرية..
يزيح الستائر عن النافذة بشكل كامل...ثم يبتعد قليلاً عنها وهو ينظر لقمر القرية)

شريف : ألا تودّين النهوض من الفراش..؟

قمر القرية: (تفتح عينيها و تتمطىّ بالسرير) مممممم..!

شريف : أصبحنا بمنتصف النهار.

هيا انهضي ما هذا الكسل..؟

قمر القرية: كم هو رائع النوم بعد التعب..!

شريف : وما الذي أتعبك..؟ (وهو ينظر إلى الزجاجة والكأسين)..

قمر القرية : (وآثار التعب واضحة عليها.. تنتبه لنظرة من شريف، فتغير الموضوع) متى عدت..؟

شريف : (ينظر إليها بريبة.. تتلاقى عيونهما.. يهز برأسه وهو صامت) ليس من عادتك أن تضعي المشروب هكذا..؟

قمر القرية:(تلاحظ القلق البادي عليه) ما بك يا شريف ..؟

شريف : (ينظر إليها..ساهماً) ها..!؟

قمر القرية: ما بك...؟ سألتك متى عدتَ ليلة أمس..؟

شريف : (يشعر وكأنه مذنب) عدتُ متأخراً، تقريباً قبيل الفجر..

أنا آسف حبيبتي.. ما كنت أظن أنني سأتأخر هكذا..!

قمر القرية: (وهي تنهض من السرير وتقوم بتسّوية شعرها الذي كان مفروداً على كتفيها) لا عليك.. لكن أين كنت..؟

شريف : (يلاحظ شعرها وهي تقوم بتسويته) ليس من عادتك أن تنامي وشعرك هكذا..!

قمر القرية : (تنتبه لملاحظة شريف الثانية، فتحاول مدارة الموقف..)

وكيف تريد أن يكون شعري أثناء النوم..؟

(تثور عليه)

ثم إنك لم تقل لي من قبل ؛ إن لدينا في السرير صالوناً لتصفيف الشعر..! غريب أمرك.!

شريف : (يفاجئ بردّها) لماذا كل هذه العصبية..؟

الأمر لا يستحق.. كل ما هنالك أنني لم أعتد على رؤيتك تنهضين من الفراش وشعرك بهذا الشكل..!

قمر القرية: لم تعتد هذا الأمر،

لكنه حصل..!

هل وقعت قطعة من السماء..؟

أنا أعرف..!

كل ذلك كي لا تقول لي أين أمضيت ليلتك أمس..؟

فعلاً كما يقولون

ضربني وبكى..!

شريف : **(يثور بحدّة)**

أقسم أنه لم يخطر ببالي كل ما تفكرين به.!

كان مجرد سؤال ليس إلا.!

قمر القرية: لكنك كنت تتحدث معي ساهما.. كيف تفسر هذا الأمر..؟

شريف : تعرفين كم أحبك..

(يهدأ ويبدأ بملاطفتها)

أعترف أنني قد أسوح بفكري عنك..!

وأؤكد اعترافي...

أنك مع ذلك تسكنين فيه

لذلك أظل محموماً.!

البارحة استيقظت من عملي،

وحملت أدراني المتعبة،

وألقيتني على السرير..!

لم تشعري بي..!

قلتُ لروحي المتعبة إنكِ المحال..!

ولكن روحي قالت إنها أنتِ..!

قمر القرية: **(تهدّئ من حدة الموقف)**

كم أنت رائع يا شريف..!

أنت أجمل من كل الأيام الماضية..!

شريف : **(يقترب منها ويحضنها)**

وأنت ما زلت أجمل شيء في حياتي.!

(وهو يتغزل بها)

لم يجد نفعاً هذا البعاد..

ولم يجد نفعاًأنك منهم وأنني مني !

هل سمعت عبارة كل عام وأنت حبيبتي..؟

إنها تدّق في رأسي كالصاعقة،

كضربة الشمس.!

واكتشفتُ أنكِ من فعل كل هذا بي..

كم أحبك..!

قمر القرية: (وهي تقف قبالته ممسكة بيديه) وأنا أحبك..!

(وهي تنظر إليه) كل عام وأنت حبيبي..!

شريف : ما أجمل هذه العبارة منك..

لكن لا أعرف لماذا أشعر الآن أنني مستودع لأحزان هذا العالم.!

(يعاود الشرود)

قمر القرية: (وهي ترمي برأسها على كتفه)

ما بك يا شريف..؟

شريف : (يأخذان وضعية من يريد أن يرقص)

البارحة اكتشفتُ أنني أفشل مَنْ سبح مع التيار.؟

تمسكتُ بعمري الذي تجاوز المألوف، حتى صرت حبيبتي.. غللتُ روحي بأنفاسك لأظل أدرك أنني إنسان..!

كانت عيونك تمدّ إليّ شيئا لم أعرفه من قبل..!

لكنه جعلني أشعر بارتباطي بك ..

حاولت كثيراً أن أبتعد لكنني لم استطع..!

كانت عيونك تقودني ..

شئت أنا أم أبيت !!

قمر القرية: (وهي ساهمة)

يتحرّك في داخلي شيءٌ غريب ..!

في المرة الماضية.. أحسسته واضحاً،

كما لو أنه مرّ عليّ أطول من دهر !

واقفتُ نفسي برهة؛ وأنبتها..!

إلى أين أمضي في هذه المعمعة ؟

إلى ما ستصير الحال لو تطورت الأمور أكثر؟

كل الأجوبة التي وصلتني من نفسي؛ كانت مؤطرة بعينيكَ ..

(وهي تنظر إليه وكأنها تراه للمرة الأولى)

لدرجة أن أحرف بعض الكلمات،..

سال عليها كحل العيون ؛

فانطمست ؛

أستطيع أن أقسم أنك أربكتَ حياتي؛

أفقدتني صوابي..

شريف : (مقاطعاً)

بل أنت التي أفقدتني صوابي.

شغلتني حتى أني أضعتُ بوصلتي..

(يتوقف عن الرقص ويبعدها عنـه مسافة طول ذراعيه، حيث يداه ما زالتا على كتفيها.. يتغزّل بها)

يا لـهذه العيون ما أجملـها..

قمر القريـة : (وهي تبتسم) إنـها لك..!

(ترتمي على صدره) كم أنا مشتاقة إليك...!

(تحضنه بقوة، ثم تمسك أطراف شعرها وتمسح به وجه شريف حتى تغطيه وهما يضحكان بصوت عالٍ يصل حد القهقهة .. ويتجمّد المشهد..بينما تخفت الإضاءة بالتدريج)..

إظـلام

المشهد السادس

(ترتفع الإضاءة على شريف وقد جلس إلى الطاولة.. يصب كأساً من الويسكي ويشربه دفعة واحدة)

شريف : **(لنفسه)** وكأن الأيام تعيد نفسها..

(يصب كأساً ثانياً)

ما زال جسدها جميلا متناسقا،

(يتغزل بجسدها وكأنه يراه أمامه)

كالرخام الأبيض .. لا..

بل كالمرمر تحت أشعة الشمس في يومٍ صيفي..

(يرشف من الكأس)

والذي تتاح له فرصة أن يمرّ بجانبها

أو أن تمرّ هي بجانبه..

يا هناهُ ..

(يلوّح برأسه منتشياً)

سيشعر بوهج

لا يعرفه أحد

إلا الذي كواه هذا الوهج الصاعق ذات يوم..

(يرفع الكأس)

بصحة هذا الجمال

وضفائر الشعر المنسدل شلالا على كتفيها..

آه يا شريف..

آه على شعرها..

وكأن ليلا قد أرخى سدوله على الكون..

تاركا وجهها،

ذاك الإطار المدوّر الأقرب إلى وجه القمر..

ولم يستطع أحد أن ينال منه..

آه يا شريف ..

لقد بقي ساطعاً بكبرياءٍ

متحدّياً هذا الظلام الممتد حتى منتصف ظهرها،

وربما أكثر..

بصحة هذا الجسد. !!

(يرفع الكأس)

آه يا قمر القرية..

أية نشوة تلك التي تعتري المرء

إذا ما رآك وأنت تتحدّين الجميع بمشيتك ..

والهواء يداعب هذا الظلام..

أيّ بائس أنا.. !

الصورة الكاملة لا تستطيع أن تصفها الكلمات..

كم أعجز عن ذلك !

لو كنت رساما،

قد أستطيع أن أصنع بألواني لوحة جميلة لك..

ولكنها مع ذلك ستظل مجزوءة!

(يدور برأسه على صور الفنانات المعلقة على الجدران وهو يتنهّد)

المشاعر أصعب وأعقد من أن تجتمع في لوحة واحدة لهذه المرأة...

كم كنتِ حلماً بالنسبة لي..

ستظلين حلماً آه يا قمر القرية..

ما أصعب أن تكوني حلماً..

(يتأمل الكأس الذي رشف منه جرعة)

ما كان أحد يعرف أن العنجّهية التي يتعامل بها شريف

(يشير لنفسه)

كانت جوفاء تفتقد إلى الحدّ الأدنى مما يمتلكه أيّ فلاح في هذه القرية...

(يتنهد)

ماذا يفيد الإنسان لو كسب العالم وخسر رجولته..!؟

ماذا سيكون الموقف لو عرف الناس بذلك !

الناس لن ترحمني أبداً...

سأكون بينهم كالبقرة التي سقطت،

وبأيديهم السكاكين،

ولا قوة لي تساعدني في الدفاع عن نفسي؛

لأقول إنني رجل بكامل وحشيتي أمام المرأة التي تشتهي أن أمزقها تحتي..

وأكسّر أضلاعها وأنا أعتصرها..

لأُخرِجَ منها كل تأوهات الحياة الرائعة

(يبكي وهو يتأمل الكأس الذي رشف منه جرعة ثم ينهض ويدور في الغرفة كالمجنون، وقد فعل الويسكي فعله به)

ماذا سيقول من يرى هذا البؤس ؛

الذي أوصلني للاعتراف بأنه؛

لن يجرؤ أحد أبداً

على استعادة الهيبة المفقودة.**!**

لن يكون بمقدور أحد في هذا العالم

أن يواجه هذه المأساة...**!**

حتى مجرد التفكير في هذا الأمر سيكون من الحماقة..

إنه يبدأ بالتفكير

وينتهي بحماقة قد توصل إلى أوسع أبواب الجحيم **!**

(يقع على الأرض وهو يبكي بحرقة)..

إظـلام

المشهد السابع

(ترتفع الإضاءة على صبحي وهو يرتدي الزيّ الشعبي، ويقف أمام واجهة قصر شريف متردداً)

صبحي: (تظهر علامات الارتباك على كل شيء فيه)

هل صادف أحدكم منْ يقول له ابتعد عن طريقي..

لا أريدك فيه !؟

في المرة الأولى التي سمعت فيها هذه الكلمة

وقفت مستغربا من كل هذا الذي يجري..!

لم يشفع لي عند الشريك،

كل ما فعلت من أجله..

حتى علاقتي مع الذين يخصّونه بشكل أو بآخر!

كم أنا مقتنع الآن أن القطط لا تحب إلا خَنّاقها !؟

(يجلس على طرف الدرج الموصل لباب القصر، يخرج علبة دخان، ويبدأ بلف سيجارة على الطريقة التقليدية)

عندما كنت شابا في مقتبل رحلتي بالحياة..

كنت أرى الأشياء والناس والأمور؛ مختلفة..!

خاصة علاقة الرجل بالمرأة.. !

كانت هذه العلاقة تخضع لمقياس واحد عندي..!

كل العلاقات العاطفية التي تلوّثت بها حياتي..!

كانت من منبع واحد،

وإن اختلفت الأنواع والأشكال !؟

كانوا يقولون عني – وخاصة الحساد –

إنني قادر أن أغير في كل يوم عشيقة؛

أيّ عهر هذا الذي أوصم به !؟

(مستطرداً)

بعضهم بالغ في الأمر كثيرا وصفني بالخطير،

أنا بنظره قادرٌ على الولوج إلى رحم العشق ذاته !!

والمشكلة ببساطة أنني لا أستطيع العيش دون امرأة..!

(صمت)

ماذا يعني إن فكرت بالزواج مرة ثانية..

زوجتي أصبحت غير قادرة على تلبية حقوقي الزوجية ..

«الله يجازيك يا فرس إبليس.. خربت بيتي وأنت تبيعني تلك الحبوب»

(مستدركاً وهو يلوم نفسه)

لكن كل الحق يقع عليّ أنا..!

كنت مثل كل الرجال الذين من سني..

الذين تخرّبت علاقاتهم بزوجاتهم.. بسبب ضرورات هذه السن..

الحق عليّ.. لم أرضَ بقسمتي.. !

صرت أطمح للزواج «ببنت أربعطعش»

(متباهياً)

يعني..!

صحيح أن الحيل صار متيناً والحمد لله...

لكن لم يبق عندي «دونم أرض، ولا راس طرش»..!

وأنا لا أستطيع أن أظل هكذا..!

لذلك قلت في نفسي

الناس في هذه القرية يتحدّثون بكل شيء..

وأولها الممنوعات..

فليجعلوني مادة لحديثهم ويذهبوا لجهنم..

أنا أريد أن أتزوج وسأستدين المال أيضا.. !

شريف بيك إنسان متفهّم وسيعطيني ما أريد..!

(ينهض ويقرّر طرق الباب)

إظلام

المشهد الثامن

(تدخل قمر القرية إلى المشهد، تراه وقد وصلت حالته حدّاً لا يحسد عليه من الانهيار الداخلي.. تقف على مبعدة منه وهي تنظر إليه مشفقة، ثم تجيل النظر بينه وبين زجاجة الويسكي قبل أن تذهب لتجلس على حافة السرير...ينظر إليها)

شريف : هل جئت تشمتين بي..؟

قمر القرية: ولماذا أشمت بك..؟

شريف : تعرفين لماذا..؟!

قمر القرية: لا.. لا أعرف..!

شريف : بل تعرفين..! أنا أعرف وأنت تعرفين..!

قمر القرية: ولماذا تصر أنني أعرف..؟

قل لي ما الذي أعرفه..؟!

شريف : **(مرتبكاً)** تعرفين وكفى..!

قمر القرية: **(تشعر بالإحراج الذي ينتابه.. فتثور عليه)**

إلى ما تلمّح بالضبط..!

من الصباح وأنت تتحدّث بالألغاز..!

قل بماذا تفكر..!

شريف : من أين جاءكِ التعب..؟

قمر القرية: (بسرعة دون أن تفكر بالكلام)

من غيابك عني..!

(تحدّق به.. وتشعر أنها أساءت التعبير.. فتصمت لبرهة) هل هذا سبب ثورتك (تسترسل بهجومها)

ثم هل حرام أن أشعر بالتعب..؟

شريف : (وكأنه يمسكها على الكلمة)

كيف تتعبين من غيابي..؟

هل الوحدة متعبة إلى هذه الدرجة..؟

قمر القرية: (تهدأ حين تدرك أنه لا يعرف شيئاً)

كم نحن مسكينان..!

شريف : (بعصبية)

أنت المسكينة..!

أنا لستُ مسكيناً..

لا أريد أن يقول أحد عني إنني مسكين..

لا أريد شفقة من أحد..!

قمر القرية: حسن كما تريد.. لستَ مسكيناً..

وأنا لا أشفق عليك..!

أنا أشفق على نفسي هل ارتحت..!؟

(تصمت قليلاً ثم تستطرد)

أتذكر حين أرسلتَ الجاهة لخطبتي..

حدث حينها تبدّل مفاجئ بالجوّ..

على غير العادة تهبّ الرياح وتتساقط الأمطار حبالاً كثيفة..

يومها قال أحدهم ....

إن الخير قادم على القرية كلها، وهذه بوادره قد بدأت..

هل تذكر ذلك..؟

شريف : ولماذا أنت الآن تذكرين هذه القصة..؟

قمر القرية: لأن أحدهم قال أيضاً إن الخير القادم من شريف

سيكون كبيراً أكثر..!

هل تذكر..؟

شريف : كان الناس حينها يؤلفون عني القصص..

يتهولون بكل شيء..!

لكن أعود وأسأل..

لماذا تذكرين هذه القصة الآن..؟

قمر القرية: لأني لم أرَ من كل هذا الخير إلا التعب والملل..!

شريف : إلى ما تلمّحين.؟

قمر القرية: **(وهي تدور في أرجاء الغرفة كالمجنونة)** أتذكر..

أكثر من نصف زجاجة من الويسكي الفاخر..

هذا المشروب الحرّاق،

الذي أحضرته خصيصاً لتلك الحفلة..!

(تذهب باتجاه الطاولة وتمسك الزجاجة بأسى)

لم أعرف كيف استسغته للمرة الأولى..

كنت منساقة وراءك..

أتذكر..!

أنت الذي وعدتني أن هذا المشروب الملكيّ الذي كرمّتني به..

سيغيّر كل ألوان الحياة أمام عينيّ ..

شريف : (يدخل في اللعبة معها وكأنه يتذكر)

إنه باختصار شديد سيُنزل الغيوم من السماء، ليجعلها تحت قدميك..!

قمر القرية: (وكأنها تذكرّه)

كنتَ قد انتهيتَ من خلع بدلتك الأنيقة وارتديتَ بنطال البيجامة الحريرية.. أتذكرها..!

شريف : (ينـهار شريف أمامها)..

قمر القرية: (وهي تستحضر الماضي)..

حملتني ومددّتني عارية على أرض الغرفة..

فوق هذه السجادة..أتذكر..؟

كانت الإضاءة خافتة جداً،

مثل الأفلام الرومانسية

التي زرعت في نفوس الأجيال تقاليد خاصة جداً

للدخول إلى عوالم الحب

والجمال والتوحّد الشفاف مع موسيقا الروح والانبهار

ألم تقل ذلك..؟

(يهزّ برأسه وهو ينظر إليها باضطراب شديد، بينما هي تسترسل)

حينها أخرجتَ سيكارة وأشعلتها..

وجلستَ قبَالة هذا الجسد الفضيّ المسجّى أمامك..

جسدي..!

(وهي تشير لجسدها)

كنتَ تتمقلُ كل انحناءة فيه..

كأنك تريد أن تحفظ غيباً تضاريس هذا القمر الذي تعتّعه الويسكي..

استعداداً للهبوط فوقه،

وتحقيق الانتصار المرتقب.!

(تصمت لبرهة)

وماذا بعد..؟

تأتي اليوم لتسألني لماذا كنتُ متعبة..؟

ألا تذكر..؟

(ترتفع وتيرة الصوت عندها)

من قبل أن تغلق علينا غرفة النوم.. تقيأتُ..!!

كل من كان حولي من البنات قلنَ..

مسكينة قمر القرية..

كان إقياؤها صعباً..

جعلها تفرغ ما بمعدتها وما بقلبها معاً...

وها أنا في هذا اليوم أشعر وكأنني أريد أن أتقيأ..أكثر وأكثر..!

(وكأنها تذكرّه.. وهو يبكي..)

تكلم..!

قل شيئاً لماذا تبكي هكذا..؟

قل ماذا حصل..؟

(يحدّق شريف بالزجاجة)

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل،

حين بقينا وحدنا في غرفة النوم،

الغرفة التي أذهلت كلَ منْ رآها في ذلك الوقت

(وهي تشير للغرفة)

وكنا قد انتهينا من تناول اللحم المطبوخ والمشوي..

وتجرّعنا أطيب مشروب في العالم..

مشروبك الملكي الفاخر..!

الويسكي..

الويسكي يا شريف..!

كانت القرية تتطلع إلينا بكثير من الشوق والانتظار..

لعظمة الإنجازات التي ستأتي..

أنت شريف بيك المليونير..

وأنا عروسك....

زوجتك.. قمر القرية..!

لعن الله هذه القرية..

وهذا القمر الذي خفت ضوءه على يديك..!

(يبكي)

قل شيئاً لماذا تبكي هكذا..؟

قل شيئا.. إن كنت تستطيع..! أفرغ ما بجوفك..

تقيأ تلك الذاكرة..!

شريف : (يتوقف عن البكاء.. وفجأة يستجمع قواه ويستذكر)

أنا شريف بيك المليونير..

وأنت عروسي...

زوجتي قمر القرية..

ما أسعدني بك يا قمري..!

(يأخذ رشفة من كأس الويسكي)

كنتُ أشعر حينها

أن قوة من الرجولة المفرطة تجتاحني...

لم لا وقد وجدتُ نفسي أمام جسد

(وهو يتغزّل بجسدها)

مكتمل الأنوثة..

خارق بتقسيماته..

متناسق بتضاريسه...

كانت عيناي معلقتين على انحناءة تحت الظهر،

حين تحرك هذا الجسد بتكاسل شديد وإغراء لافت..!

قمر القرية: (مقاطعة)

كنت أظن أنني أقف على بوابة الزمن الجديد...!

أكمل، قل كل شيء..!

شريف : عندما وضعتُ السيكارة الثانية بفمي وبدأتُ أمجها..
كانت لحظة انفجار البركان قد أوشكت ؛
شعرتُ أن الظمأ بدأ يغزوني
فصرت أعبّ الخمر أكثر وأكثر..
(يأخذ رشفة من كأس الويسكي)
ومع كل رشفة من الكأس كنتُ أتبعها بمجّة من السيجارة..
(ينهار أمامها)
لم أكن أعلم حينها أن شيئاً صار يتسّرب من رجولتي
مع كل نفسٍ كنت أنفثه؛
حتى إذا ما وصلت لمنتصف السيكارة..
كانت الدموع قد اندلقت مع أعصابي..!!
لا أعرف لماذا..
كانت أسوأ لحظة في حياتي..
وأنا أرى البركان الذي في داخلي يخمد دفعة واحدة..!
قمر القرية: (تقترب منه.. تحضنه وهي تحاول تهدئته)
وحزنتَ حين قلت لك يا لنا من مسكينين..!

(شريف يحضنها كالطفل وهو ما زال يبكي. يتجمدان على هذا الحال.. وصوت الموسيقا ما زال ينبعث مذكراً بالموسيقا التي كانا يسمعانها في تلك الليلة المشؤومة... بينما تخفت الإضاءة عليهما).

إظلام

المشهد التاسع

(ترتفع الإضاءة على شريف وهو يرتدي بيجامة حريرية.. جالساً على أرض الغرفة يدخن السيجار)..

شريف : (لنفسه) خِفتُ وأنا أحاول استجماع قواي،

وأجمع كل الخطوط المتشابكة وأحللها..!

خِفتُ كثيراً..

كنت أقول لنفسي، يجب أن أصل إلى الحقيقة..

يجب أن أرتاح !!

(يتنهد)

ما أجمل أن يرتاح المرء ولو متأخرا..

المهم أن يرتاح..

لكن السؤال هو كيف !؟

كنت أخاف أن أصبح علكا في فم الناس.. يعلكونه غصبا عني !!

قمر القرية: (تدخل وهي ترتدي ثوبا شفافاً للنوم يظهر مفاتنها تجلس إلى جواره)

كيف أصبحتَ الآن..؟

شريف : لا بأس..!

قمر القرية: هل ما زلت مصّراً على السفر..؟

شريف : لا بد من السفر.. !

يجب أن أوقع عقد شراء ماكينات المعمل الجديد..!

قمر القرية: لم لا يأتي أحد منهم ويحضر العقود كي توقعها هنا..!

شريف : لا يجوز.. !

المشتري هو الذي يذهب للتوقيع وليس البائع..

ثم إني أريد معاينة المَكَنْ على أرض الواقع..!

قمر القرية: وكم يوم ستبقى هناك..؟

شريف : ليس أقل من ثلاثة أيام..!

قمر القرية: لم لا تأخذ صبحي معك..؟ إنه سائق ماهر..!

شريف : صبحي يفهم بسيارتك فقط..!

أما سيارتي فهي فوق مستواه..!

كما إنني لا أحب أن يقودها أحد غيري..!

قمر القرية: الحق معك.. كل واحد حرٌ بسيارته..! لكن كن حذراً..!

(تنهض وتسير باتجاه السرير) ألا تريد أن تنام..؟

شريف : ليس بعد..!

قمر القرية: يجب أن تنام، كي تستطيع القيادة وأنت مرتاح..!

شريف : سأنام.. لكن ليس الآن..!

قمر القرية: (تصعد إلى السرير بطريقة مثيرة، وهي تنظر إليه)
ليلة سعيدة..!

شريف : **(دون أن يلتفت إليها)**
وأنت أيضاً..!

(تخفت الإضاءة على السرير وتبقى بقعة ضوء على شريف وهو جالس في مكانه.. يحتسي الويسكي)

إظلام

المشهد العاشر

شريف: (لنفسه وكأنه يتذكر)

الحياة مليئة بمظاهر البسط و الانشراح..

وعلى الجميع أن يغتنم الفرصة التي لن تعوّض.!!

الحق معك يا حماتي..!

على الجميع أن يغتنم الفرصة..!

ولكن كيف..؟

لم تقل لي ابنتك كيف..!

ولا أي واحد في هذه القرية اللعينة يعرف كيف..!

ولا حتى الرجال..!

أولئك المتهاوين على عتبة الفقر وسد الرمق،

وكفاية الحاجة..

يأتون إلى بيوتهم، قادمين من عملهم..

يتناولون طعام الغداء..

وينامون كما الباشاوات في فترة القيلولة..

ليكونوا جاهزين بعد ذلك لأن السهرة اليومية بانتظارهم..

ولكل واحد منهم «شلة» خاصة به تجتمع كل يوم في ساعة محددة ليشربوا أو يلعبوا الورق !

هل هذه هي مظاهر البسط والانشراح، التي تعرفها القرية يا حماتي..!

إذا كان هذا هو البسط..

فماذا يعني أن ينام الرجل على سرير ملوكي وبجانبه القمر..!

(ينظر بطرف عينه صوب قمر القرية وهي مستلقية على السرير)

قمر القرية: (تتظاهر بأنها لم تسمع ما يقول، تفرح من هذا الكلام فتتجرأ وتطلب منه الصعود على السرير)

شارفنا على الفجر..

هيا يا حبيبي..

ما زلت أنتظرك..!

تعال إلى جوار قمرك في سريرك الملكي..!

شريف : لم يحن الوقت بعد..!

نامي.. سأشرب أيضاً..!

قمر القرية: (تبدو عليها علامات الانزعاج والقهر.. فتثور عليه)

أطفئ النورواشرب كما تشاء، ذلك السم «الهاري»

(تصمت قليلاً ثم تتابع)

هل أنت متأكد أن ثلاثة أيام تكفيك في هذه السفرة..!

شريف : أظن ذلك..!

قمر القرية: (بسخرية)

ليكن أسبوعاً أو عشرة أيام..

هذا أفضل..

كي تنهي كل أعمالك بهدوء.. !

(ترفع الشرشف لتغطي رأسها بطريقة كاريكاتورية)

شريف : كما تشائين..!

قمر القرية: هيا.. أطفئ النور..!

شريف : كما تشائين..!

كم يوماً تريديني أن أبقى هناك ..؟

قمر القرية: (بانزعاج واضح) لتبقى كما تحب ولكن.. أطفئ النور..!

(يذهب باتجاه مقبس الكهرباء ويديره.. تخفت الإضاءة بالتدريج.. ويبقى بروفيل شريف هو الذي يظهر وهو يمشي في الغرفة.. ثم وهو جالس يشرب..

بعد ذلك ينهض ويرتدي ثيابه ويأخذ حقيبته، ويخرج من الغرفة)..

إظلام

المشهد الحادي عشر

(نسمع صوت جرس الهاتف.. ترتفع الإضاءة على الخشبة، نرى قمر القرية مستلقية على السرير، وهي تمسك بسماعة الهاتف تتحدث وكأن النوم ما زال على عينيها)

قمر القرية: ألو.. أهلاً..السيارة جاهزة.!

حسنٌ.!

لكنني لا أريد أن أخرج هذا اليوم.!

نعم سافر.. !

لا.. لن يعود قبل عدة أيام.. !

لوازم المطبخ ..؟

نعم أحضرها كلها..

اسمع..!

لا أعرف بالضبط..!

أحضر كل ما تراه مناسباً

(صمت قصير)

قلت لك لا اعرف..!

ماذا تريد أن تأكل أنت..؟

بالمناسبة أحضر معك زجاجة من النوع الجيد..

لا.. لا أريد ويسكي هذه المرة..!

أريد ذلك النوع الذي شاهدنا في الفيلم.. !!

(وهي تضحك بدلع)

لا ليس بيرة..

نعم الذي شاهدناه في الفيلم آخر مرة..لم تنتبه عليه أساساً.!

(بغنـج)

لماذا..؟ بماذا كنت مشغولاً..؟..

(صمت وهي تمرر يدها على رقبتـها)

همم.. !

(بـهمس واضح وغنـج)

وماذا أيضاً ؟

همم..! همم.!

حينها كانا يشربان الشمبانيا..

نعم شمبانيا..!

كان يحتفلان..

(تضحك ضحكة قويـة)

لا ليست «شنينة» بلشمبانيا..!

أريد أن أحتفل أنا أيضاً..

نعم مثلهم تماماً

ألا يحق لي..؟

(بعصبية)

ماذا ينقصني..؟

أعرف أنه لا ينقصني شيء...

(صمت)

لا لست منزعجة منك..

(صمت)

أقسم أنني لست منزعجة ..

(تضحك بغنج)

أحسستُ ذلك من كلامك..

(تتقلب على السرير)

وأنا أيضاً.....

(صمت)

يا لئيم.. لقد تغيرت كثيراً.!

نعم.. لا. لا.!

هكذا أفضل..

(بهمس واضح)

وأنا محتاجة أيضاً ..

آه منك أيها الرجل..!

لا تتأخر.. ثلاث ساعات..!

كثير جداً .. هيا لا تضيع الوقت..!

هذه لك. برغم كل شيء. دمك خفيف.!

(تقبل السماعة بغنج)

«باي».!

(تضع قمر القرية السماعة وتنهض من السرير،

تسير بحيوية وكأنها ترقص..

تتجه نحو النافذة وهي تدندن بصوتها ؛

تفتح الستارة تنظر عبر الزجاج، تشرد وهي تحدّق أكثر..

تضع يديها على الزجاج وكأنها تبصم بكامل كفيها.

ثم ترمي رأسها عليهما..

تظلم الخشبة دفعة واحدة...

ثم ترتفع إضاءة خفيفة تعطي إحساساً رومانسياً ،

نرى قمر القرية وهي بوضعها السابق،

ونرى شريف يقف عند الباب وهو يرتدي ثياب صبحي .. !

ترفع قمر القرية رأسها ببطء شديد وهي تعيش لحظة حالمة..

تنظر إلى شريف نظرة اشتياق..

يسرعان إلى بعضهما..

ثم يقف كل منهما مادّاً يديه للآخر، تفصل بينهما خطوة واحدة..

تتشابك الأيدي..

ثم ترتمي قمر القرية في حضنه ؛ وكأنها تنتظر هذا اللقاء منذ مدة طويلة..!

يتعانقان بشوق واضح..

نسمع موسيقا رومانسية حالمة..

ثم يرقصان وهما يمارسان طقس الحب بلذة كبيرة..

نسمع صوت جرس بيانو..

تظلم الخشبة،

وتتوقف الموسيقا دفعة واحدة مع أول رنة للجرس الذي يستمر بالرنين..

ترتفع الإضاءة من جديد،

نرى قمر القرية وهي تقف عند النافذة بوضعها السابق..

ترفع رأسها وكأنها استفاقت من حلم جميل،

تنظر نحو الباب، تذهب إليه وتفتحه..

يدخل صبحي إلى المشهد ..

يتعانقان بشوق وهما ما زالا واقفين عند باب الغرفة..

نسمع صوت جرس الهاتف.. يلتفتان نحو مصدر الصوت معاً..

ثم يسيران وهما متعانقين إلى جهاز الهاتف..

تبقي قمر القرية يدها اليسرى على خصر صبحي بينما تمسك السماعة بيدها الثانية).

قمر القرية: (بحيادية واضحة)

ألو..

(صمت)

شكرا شريف..!

إظلام

المشهد الثاني عشر

(ترتفع الإضاءة على المشهد نسمع الموسيقا الرومانسية التي كانت تسمعها قمر القرية في المشهد السابق.. ولكن بصوت خفيف.. نرى صبحي مضطجعاً على السرير..

وقمر القرية تجلس على الأرض في المكان الذي كان يجلس به شريف.. وهي تصبّ كأسين من الويسكي.. ثم تحملهما وتسير باتجاه صبحي.. الذي يتناول الكأس منها وهو ما زال بوضعيته.. يشدّها إليه، فتجلس على السرير بجانبه.. ينقران الكأسين وهما ينظران لبعضهما)

صبحي : لو تعرفين مدى السعادة التي أحسها الآن معك..!

قمر القرية: لماذا..؟

صبحي : ماذا..؟

قمر القرية: لماذا تُحِسُّ هذه السعادة معي..؟

صبحي : ربما لأنني وجدت ما كنت أبحث عنه..

قمر القرية: وما الذي كنتَ تبحث عنه..؟

صبحي : كنت أبحث عن نفسي..!

قمر القرية: وما الذي أضاع نفسك منك..؟

صبحي : القرية..! هذه القرية التي أنت قمرها..!

قمر القرية: لم أفهم عليك..!

صبحي : صحيح أن خبرتي بالحياة كبيرة وغنية..
لكن هذه القرية الملعونة لا تعرف إلا وجع الرأس..!
لا تترك أحداً بهمه..! ما لهم ومالي؛ إن كنت غيرت
زيِّيّ .. أو خلعت الحطة والعقال..؟

قمر القرية: (تضحك قمر القرية) حشريون.. ماذا ستقول لهم..!
(بدلع وغنج)
إنهم لا يعرفون، أنك هكذا أفضل!
أنت الآن أكثر وسامة من أي شاب في العشرين..!

صبحي : تصوّري كل القرية ما عاد لها حديث غيري..!

قمر القرية: الحق معهم.. حُسّادْ.. وعيونهم ضيقة..!فجأة؛ يرون
أمامهم جوهرة جميلة، لم يعرفونها من قبل..! ماذا
تريدهم أن يفعلوا..؟

صبحي : أتعلمين..؟ ينتاب المرء إحساس قد لا يتبين طبيعته.. إذا
ما استغرق في مثل هذه القصص والحكايات.. لا لشيء
إلا لكونها مليئةً بالكره ومثقلةً بكمياتٍ كبيرةٍ من الحقد
الأسود الدفين في هذه الصدور التي تحاول أن تتلمع أمام
الآخرين، وتتظاهر بأنها تعرف الله وتخافه لهذا السبب
أكره أن أكون عند الناس مادة للحديث..!

قمر القرية: أما كنت مثلهم..؟

صبحي : حتى عندما كنت اجلس معهم، لم أكن أتحدث عن أحد..! من طبعي أن لا أتدخل بما لا يعنيني.. تخيلي أن كل شيء في هذه القرية مباح إلا الحديث في السياسة والعشق وشرب الخمر لأنهم يعتبرونه منقصة للكرامة..!؟

قمر القرية: (وتضحك بدلال واضح)

أغبياء..! يمنعون أجمل ما في الحياة..!

(وهي تتغنج)

لم يتذوقوا معنى الحياة كما يجب أن تكون..!

صبحي : **(وهو يحضنها)**

مثل هذه الحياة..! هل تتزوجينني..!

قمر القرية: لكنني متزوجة..!

صبحي : عندما تصبحين أرملة..!

قمر القرية: ماذا تقول..؟ بالتأكيد أنت مجنون..!

صبحي : ما عدتُ أحتمل هذا الوضع أكثر..! يجب أن تكوني لي.. أنا وحدي الذي أقدّر قيمتك

قمر القرية: وشريف..؟ زوجي..؟

صبحي : زوج مع وقف التنفيذ..!

يمتلك كل شيء إلا أن يكون زوجاً ناجحاً..!

والحياة لا تستقيم هكذا..!

لو امتلك هذا الأمر، ربما ما التقينا..!

(يشدها إليه ويحضنها)

من الآن سأجعل حياتك مختلفة..!

قمر القرية: إنها الآن جميلة..!

صبحي : وسأجعلها أجمل.!

قمر القرية: كم أنا متشوّقة لرؤية تلك الحياة..!

(تضحك بدلال واضح وتتغنّج.. بينما هو يقهقه)

إظلام

المشهد الثالث عشر

(الخشبة مظلمة، نسمع صراخ امرأة بشكل قوي وهي تتلوى من الألم، وكأنها تتعرّض للاغتصاب..

ترتفع بقعة ضوء خافتة على الخشبة ..

نرى ظل رجل وامرأة وهما يتعاركان بشكل عنيف..

تتداخل هذه الأصوات مع موسيقا صاخبة وكأنها وضعت للتورية..

في الزاوية الأخرى من الخشبة ترتفع بقعة ضوء أخرى..

نرى ظل رجل آخر ينظر نحو الجمهور، يحمل بيده حبلا..

ينظر إلى مصدر الصوت المنبعث من الرجل والمرأة وهما في تلك الحالة..

نرى المرأة تدفع الرجل عنها بقوة..

يقع الرجل أرضاً؛ لكنه يشدّها إليه فتقع فوقه..

نسمع صوت المرأة وهي تدفع الرجل عنها بقوة)

المرأة: ابعد عني يا حيوان..!

(تختفي الإضاءة عن الرجل الذي يقف في الزاوية

نرى الرجل الآخر، وهو يُحْكِمُ سيطرته على المرأة...

نرى المرأة تدفعه عنها بقوة فيقع أرضاً ثانية؛

نسمع أصواتاً وهمهمات ألم وإجهاد تنبعث منه..

نسمع صوت المرأة التي ابتعدت عنه وهي تشتم وتبكي بحرقة شديدة)..

المرأة : وغد..! تافه..! حيوان..!

لقد سممّت حياتي..

ملعونة هذه الحياة..!

بقصورها ومالها وعزها وجاهها..

سئمتها معك.. !

يجب أن تموت..!

يجب أن تموت..!

أريد أن أحيا..!

من حقي أن أحيا..!

(الإضاءة على الخشبة ما زالت خافتة..

نرى ظلال الشخصيات التي تتحرك فقط..

تهرب المرأة خارج المشهد.. وكأنها ذهبت لإحضار شيء ما...

في هذه الأثناء يقترب الرجل الأول من الثاني،

يقوم بلفّ الحبل حول عنقه بقوة كبيرة

يقاوم الثاني لكنه لا يستطيع فينهار..

يقع جثة هامدة..

يخرج القاتل وهو يسحب الجثة خارج المشهد باتجاه الجهة حيث مقبس الكهرباء..

يختبئ في مكانه..

تدخل المرأة من جديد إلى المشهد وهي تبكي بحرقة وتصرخ)

المرأة : أين أنت أيهاالحيوان..!

جبان اظهر..!

اليوم سينتهي كل شيء..

(لنفسها)

يجب أن أشعل الضوء حتى أراك..

مابك تختبئ كالجرذان..!

(تذهب المرأة باتجاه مقبس الكهرباء حيث يختبئ الرجل القاتل، الذي يظهر أمامها فجأة.. تطلق النار عليه فوراً..

نسمع صوت انطلاق عدة رصاصات من مسدس ممتزجة مع صوتها..

نرى شبح المرأة وهي تقترب من الرجل الذي يتأوه متألماً..

يصمت الرجل نهائيا وقد تحول إلى جثة..

بينما نراها وهي تحمل بيدها المسدس..

تقف بمواجهة الجمهور)..

المرأة : (وكأنها تبرر فعلتها)

أنت من بدأ اللعبة..

فتحمل..

قلت لك ابتعد عني..

لكنك كنت مصرّاً على خنقي بسماجتك..!

ظننت أن المال يشتري كل شيء..!

إنه فعلا يشتري كل شيء..

إلا السعادة..!

كان عليك أن تعرفني أكثر..

أنا مجنونة..

أحيانا؛ كانت تمر عليّ لحظات أقرف فيها من نفسي..!

أنت أوصلتني إلى هنا..

الآن يكفي..

أريد أن أعيش..!

أريد أن أرى الحياة على حقيقتها..!

المرأة : (تذهب باتجاه مقبس الكهرباء وتشعله، فترى الجثتين معا، تصرخ.. لا.. لا..)

(تدور على الخشبة وهي كالمجنونة.. تنهار أرضا)

هذه هي الحياة..

هذه هي السعادة ..

مجنونة... مجنونة

(تطلق النار على نفسها)..

يسدل الستار

دمشق / ٢٠٠٧

* * *

فهرس

الصفحة

سمير عدنان المطرود

- كاتب وناقد مسرحي وشاعر واعلامي سوري
- مواليد ١٩٦١ / جباب، محافظة درعا – سورية
- عضو اتحاد الكتاب العرب
- مؤلفاته المطبوعة:

١- الحقيقة يا بغداد / دمشق ١٩٩٥/ مسرحية طبعت بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب.

٢- الغريب والقريب / دمشق ١٩٩٩ / مسرحية طبعت بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب.

٣- تراتيل – دمشق ٢٠٠٨/ مسرحية مع مؤسسة المهد للفنون المسرحية.

٤- أنا المعري رهين المحابس /نص مفتوح طبعة أولى ٢٠١٢ – دار بعل دمشق طبعة ثانية ٢٠١٤ – الهيئة العامة السورية للكتاب /وزارة الثقافة.

٥- أغنيات لوردة الضوء / مجموعة شعرية. / القاهرة دارالجندي للطباعة والنشر والتوزيع / القاهرة.

الطبعة الأولى / ٢٠١٦م

عدد الطبع ١٠٠٠نسخة

كلمة الغلاف

حين مررتُ هناك...

كـان حــارس المطـبخ، يُلقــي بأطنــان غربتــه علــى كـل حــوافِ الذكريات؛ كآدم.. حين يرشُّ نسائمَ عطره على حواء، التي ذابت في ليل الألم، وهي تتلاشى في آخر المشوار، وتخفت كضوءٍ، ما عاد يشبه ضوء قمر القرية في رحلةِ آلامها..